الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ابن خلدون –تيارت–
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

الحجاج في حوار الأنبياء

– سورة البقرة أنموذجا –

مذكرة مقدّمة لنيل شهادة الماستر في ميدان اللغة والأدب العربي

تخصص: لسانيات الخطاب

إعداد الطالبين:

كبريت مصطفى

فتح الله رضوان بغداد

إشراف الأستاذة:

يعقوب الزهرة

أعضاء لجنة المناقشة:

أ.د بلقاسم عيسى	**رئيسا**
أ. يعقوب الزهرة	**مشرفا ومقررا**
د.جبالي فتيحة	**عضوا مناقشا**

السنة الجامعية:

1441–1442هـ / 2020–2021م

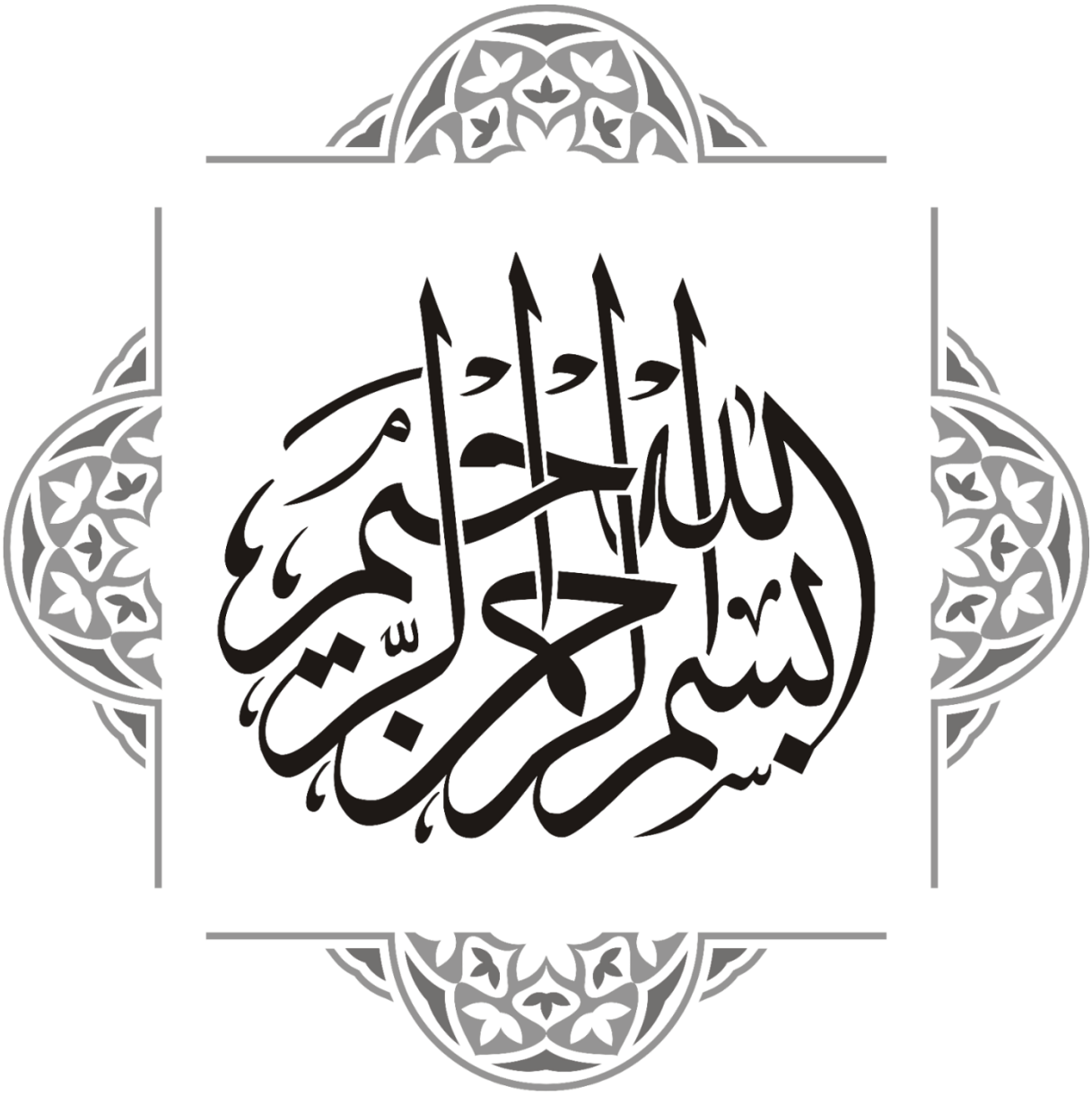
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

نشكر الله عز وجل الذي بفضله ونعمته أتممنا هذا العمل والذي ينير لنا درب العلم ثم نتقدم بالشكر الجزيل

إلى الأستاذة الفاضلة يعقوب الزهرة التي شرفتنا بتأطير هذا العمل، والتي قدمت لنا كل المعلومات والتوجيهات فيما يخص هذا العمل والذي يعتبر نتيجة دعمها وتوجيهها.

إلى كل الأساتذة الذين لهم الفضل علينا حول مشوارنا الدراسي والشكر موصول كذلك إلى أعضاء لجنة المناقشة الذين شرفونا بمناقشة هذا العمل لتصويبه

كما لا ننسى كل من قدم لنا يد العون من قريب أو من بعيد.

إهداء

إلى روح والدي الطاهرة في الملكوت الأعلى

إلى من وضعتني على طريق الحياة، وجعلتني رابط الجأش،

وراعتني حتى صرت كبيرًا، والدتي أطال الله في عمرها

إلى جميع أهلي وأفراد عائلتي

إلى كل من علّمني حرفا

وخاصة أستاذي الفاضل: حمداني بوعالي

وإلى كل من دعمني وساندني ولو بابتسامة

كبريت مصطفى

إهداء

إلى الوالدين الكريمين حفضهما الله

وإلى كل أفراد أسرتي

وإلى الأصدقاء ومن كان برفقتي ومصاحبتي أثناء

دراستي في الجامعة

وإلى كل من ساعدني ووقف معي وكان سندا لي

أهديكم عملي المتواضع

فتح الله رضوان بغداد

مقدمـــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

إنّ القرآن الكريم معجزة إلهية أنزله الله سبحانه وتعالى نورا للأبصار والبصائر، وهداية للناس للطريق السويّ الصحيح، مخاطبا العقل والقلب معا، وشاملا وصالحا لكل زمان ومكان، جاء بأسلوب لغوي بلاغي إعجازي، جعل الباحثين والدارسين يقفون على ما في آياته من علم وهدى ولما فيه من بلاغة وجمالية للأسلوب، إذ حاولوا الاشتغال على العلوم الّتي فيه، فبعضهم اهتم بالتفسير واستنباط أحكامه، وبعضهم اهتم بالناحية اللّغوية بما فيها من نحو وصرف وبلاغة...إلخ.

اعتمد الخطاب القرآني ومساعيه في توجيه الناس وإرشادهم نحو الطريق الحق، والدفع بهم إلى الاعتراف بوحدانية الله وربوبيته على أساليب عديدة ولعل من أبرزها أسلوب الحوار.

إذ اتخذ القرآن الكريم الحوار سبيلا للإقناع والتأثير، من خلال الحوارات الكثرة التي وردت في النص القرآني، خاصة تلك التي جرت بين بعض الأنبياء وأقومهم، مستعينين في ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة والحجج والبراهين في التبليغ والتوجيه والإقناع بالعقيدة السليمة، ومن ثم وجب ربط الحوار بالحجاج الذي غايته في الأساس تحقيق الاقتناع بالرأي أو بالقضية المطروحة.

وعلى شرفة ما قيل؛ جاءت هذه الدراسة للبحث في أسلوب الحوار القرآني، ومنهجه الإقناعي من خلال ما ورد في سورة البقرة من حوارات متعددة دارت بين الله وأنبيائه، وبين الأنبياء وأقوامهم.

ولعل من أهم الأسباب التي جعلتنا نبحث في هذا الموضوع المتعلّق بالحجاج والحوار ذلك أن وجود قصر عارض في مدوّنات الحوار الحجاجي وأن أغلب الدراسات في الحوار الحجاجي مبنية على أصول لغوية وغير لغوية لهذا فضّلنا أن تكون دراستنا له منصبّة على الدراسات القرآنية وذلك لفضفضة المصطلحات الحجاجية الموجودة في مدوّنات الكتب والتفاسير القرآنية، وما يُضاف إلى

ذلك أن موضوعات الحجاج لها صلة كبيرة بموضوعات البلاغة فأردنا أن نلامس بصمة الحجاج القرآني بمنظور جديد يوافق الدراسات القرآنية خاصّة حينما وقع اختيارنا على سورة البقرة كأنموذج.

وأيضا الأمر الذي جعلنا نبحث في هذا الموضوع الحوارات التي دارت بين الأنبياء والله سبحانه وتعالى وأيضا بين أقوامهم في هذه السورة، وذلك لما فيها من أهمية عظيمة، وفضائل حسنة، وأيضا لنشر ثقافة الحوار –المنتشرة في وقتنا الحالي–، والإلمام بأسسه وكيفية المحاورة الجاد لغير المسلمين على أساس الحجّة والبرهان.

كما أن موضوع الحجاج لوحده موضوع مهم كونه موظف في جميع أنواع الخطابات اللغوية وغير اللغوية، ذلك أن لكل خطاب حجة في حد ذاته، ولهذا نرى مدى أهمية هذا البحث، خاصة وأن الخطاب القرآني ذو طبيعة حجاجية إقناعية.

ولقد كان تركيزنا في ذلك على سورة البقرة تحديدا وذلك لما فيها من حوارات مهمة تدعم موضوع بحثنا إضافة إلى توفرها على آليات حجاجية، كمحاورة موسى مع قومه ومحاورة إبراهيم مع النمرود.

وعلى إثر هذا البحث تمثلت إشكاليته الأساسية في:

- ما معالم الحجاج التي تجلت في حوار الأنبياء في سورة البقرة؟

ومنه تدرجت إشكاليات أخرى منها:

- ما خصوصية فهم أصل الحجاج وما هي آلياته؟
- ما هي أهم سمات الحوار القرآني؟
- ما علاقة الحجاج بالحوار؟

وللإجابة على هذه التساؤلات جاء موضوع بحثنا الموسوم بـ: **"الحجاج في حوار الأنبياء–سورة البقرة أنموذجا–"**.

وللوصول إلى الهدف من هذه الدراسة اقتضت طبيعة الموضوع تقسيمه إلى خطة مفادها: مقدمة، وثلاثة فصول وخاتمة.

أما **الفصل الأول** فيحمل عنوان **"الحجاج –المفاهيم والآليات"**، ويندرج تحت هذا الفصل مبحثين:

المبحث الأول: الموسوم بـ: " **الحجاج بين المفهوم والمصطلح**"، والذي تطرقنا فيه إلى مفهوم مصطلح الحجاج بداية من الدراسات القديمة وصولا إلى الدراسات الحديثة، وتم تحديد المفهوم بين الدرس الغربي والعربي.

المبحث الثاني: بعنوان: **"أنواع الحجاج وآلياته"**، وكان عرضا لأنواع الحجاج، وذلك بربط أهم العلوم المتداخلة مع الحجاج، (الحجاج المنطقي، الحجاج اللساني، الحجاج البلاغي)، ولقد تم ذكر أهم الآليات الحجاجية اللغوية المتمثلة في السلالم الحجاجية، وأيضا آليات الحجاج الحديثة عند بيرلمان المتمثلة في آليات الوصل والفصل.

أما **الفصل الثاني** فقد جاء بعنوان **"حجاجية الحوار"**، تناولنا فيه الحوار وعلاقاته الحجاجية، وتم توضيح ذلك في الخطاب القرآني، ولقد قسمنا هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: كان دراسة نظرية حول الحوار تحت عنوان **"مفهوم الحوار"** ، فبيّنا من خلاله حد الحوار مبينا فيه ملامح الظاهرة اللغوية والاصطلاحية له.

المبحث الثاني: ولقد تحدثنا فيه عن **"استراتيجية الحوار الحجاجي"**، مركزين على أهم الاستراتيجيات الحوارية التي تمثلت في: (الاستراتيجية التضامنية، التوجيهية، التلميحية، الإقناعية).

المبحث الثالث: وفيه ركزنا على **"حجاجية الحوار القرآني"**، وعن العلاقة بين الحجاج والحوار، فتحدثنا عن مرتكزات الحجاج في الحوار القرآني، وأيضا الأبعاد الحجاجية في الحوار القرآني، وفي الأخير سلطنا الضوء على إعجازية الحجة في الحوار القرآني.

أما **الفصل الثالث** والأخير (التطبيقي) فقد افتتحناه بمبحث خاص كان لا بد فيه من التعريف بمدونة البحث (سورة البقرة) والوقوف على محاورات الأنبياء التي وردت في السورة، ثم تعرضنا في المبحث الثاني إلى تفسير الحوارات وتحليلها من الناحية الحجاجية، مع دراسة الآليات الحجاجية المتوفرة في الآيات.

وختمنا البحث بعرض موجز يتضمن أهم النتائج المتوصل إليها.

وقد اقتضت طبيعة الدراسة اتّباع المنهج الوصفي، ذلك أنه المنهج المناسب في تبيان الآليات والأساليب الحجاجية، ووصف الظواهر والسمات الحوارية في السورة، كما تم استعمال المنهج التداولي في تحليل العملية الحجاجية في الخطاب القرآني، مع إبراز المقاصد والغايات في الحوارات.

ولقد استندنا في إثراء عملنا هذا بمجموعة من المصادر والمراجع أهمها "القرآن الكريم" وكتب التفاسير ولعل من أهمها "تفسير التحرير والتنوير" لابن عاشور، وكتاب "الحجاج في القرآن الكريم" لعبد الله صولة، "اللغة والحجاج" لأبي بكر العزاوي، "أنواع الحجاج ومقوماته" لجميل حمداوي، "استراتيجيات الخطاب –مقاربة لغوية تداولية–" لعبد الهادي بن ظافر الشهري، كتابا "اللسان والميزان أو التكوثر العقلي" و "في أصول الحوار وتجديد علم الكلام" لطه عبد الرحمن.

ولقد واجهت الدراسة مجموعة من الصعوبات أبرزها:

أننا نتعامل مع كتاب الله العظيم المطلق ببيانه وإعجازه واتساع أفقه، ورغم أنه موجّه لجميع الفئات من الناس إلا أنه يصعب الإلمام بجميع جوانبه العميقة، فلهذا حاولنا الاطلاع على العديد من التفاسير للوصول إلى أحسن فهم، وكذلك الابتعاد عن التأويلات الخاطئة، والاشتغال بالخطاب

القرآني الإلهي المنزّه عن الخطأ ليس كالاشتغال بخطاب بشري محدود، ولهذا وجب البحث بتركيز وجدّية لاستنباط الآليات الحجاجية من الحوارات القرآنية.

وكذلك من بين الصعوبات تداخل موضوع الحجاج مع المعارف الأخرى كالفلسفة والمنطق والاجتماع والبلاغة والتواصل، بالإضافة إلى اتساع مجاله وتشعبه من عدة جوانب صعب علينا الإحاطة بها جميعا، مع الأخذ بالاعتبار اختلاف وجهات النظر عند الباحثين والدارسين وعدم اتفاقهم على مفهوم واحد.

وفي الأخير ينبغي أن نشكر الله سبحانه وتعالى الّذي وفقنا في إنجاز هذا العمل المتواضع، ثم لا ننسى أن نقدم الشكر لأستاذتنا **يعقوب الزهرة** الّتي أشرفت على مذكرتنا ووقفت معنا ودعمتنا بتوجيهاتها وآرائها السديدة ومتابعتها لمحتوى البحث خطوة خطوة.

ونأمل أننا قد حققنا في هذا العمل ما كنا نصبو إليه، ونتمنى أن يكون إضافة مفيدة في مجال الدراسات الحجاجية بصفة خاصة والبحث العلمي بصفة عامة، ونسأل الله سبحانه أن يمنحنا السداد والتوفيق وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

جامعة ابن خلدون – تيارت –

تيارت في: 2021/07/12

كبريت مصطفى

فتح الله رضوان بغداد

الفصل الأول:

الحجاج -المفاهيم والآليات

المبحث الأول: الحجاج بين المفهوم والمصطلح

المبحث الثاني: أنواع الحجاج وآلياته

تمهيد:

يعدّ الحجاج من أهم المباحث التي ظهرت في الدراسات اللّغوية، ذلك أنّه موضوع نشأ منذ القدم وارتبط بالكثير من المجالات والعلوم وعلى رأسها المنطق والبلاغة والتواصل، هذا الأمر الّذي جعل منه ذا أبعاد مختلفة يصعب الإلمام بها جميعا، فتعدّدت المفاهيم والدراسات فيها، فهناك من ربطها بالفلسفة والمنطق، وهناك من ربطها بالبلاغة، وهناك من ربطها باللغة.

المبحث الاول: الحجاج بين المفهوم والمصطلح

مفهوم الحجاج (L'argumentation):

التعريف اللّغوي:

لعل أبرز ما تحمله مادّة الحجاج في الحقول المعجمية ما أورده ابن منظور (ت:711هـ) في معجم لسان العرب مادة (حاجّ):"حاجّ، حاججته، أحاجه، محاجا ومحاججة حتّى حججته، والحجة: البرهان، وقيل: الحجّة ما دوفع به الخصم، وحجَّه يحجُّه حجًّا: أي غلبه على حجّته، واحتجّ بالشيء: أي اتخذه حجّة، وهو رجل محجاج أي جَدلٌ، وأحجّ خصمي أي أغلبه بالحجّة"[1]، ومن خلال قول ابن منظور فإنّ كلمة الحجاج تدلّ على التغالب والتخاصم بواسطة البراهين والأدلة.

يقول الشريف الجرجاني(ت:816هـ) في معجمه "التعريفات": "الحجّة ما دُلّ به على صحة الدعوى، وقيل الحجّة والدليل واحد"[2]، حيث يشير هذا التعريف إلى أنّ الحجاج هو الدليل والبرهان الّذي بواسطته نثبت وندافع عن قضية ما، وبهذا فإنّ الحجاج يكمن دوره في التأثير والإقناع لموقف معيّن.

([1])- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدّين محمد بن مكرم. لسان العرب، دار صادر، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، د.ت، ج2، ص:228.

([2])- الشريف الجرجاني، عليّ بن محمد بن عليّ. التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 2003م، ص:87.

من خلال المعنى اللّغوي العربي لكلمة الحجاج نجد أنّ من معانيها الجدل، البرهان، الدليل.

في اللّغة الفرنسية وردت لفظة Argumentaire التي تشير إلى كونها مجموعة من الحجج لدعم الرأي، ولفظة Argumentation بمعنى مجموعة من التقنيات التواصلية التّي تهدف إلى زيادة دعم المحاور للأطروحات والفرضيات التّي يقدّمها، أما لفظة Argumenter فهي تقديم الحجج للمحاججة، ضد الخصوم، للتبرير، ودعم الخطاب بالحجج [1].

أمّا في اللّغة الإنجليزية فجاءت لفظة Argument بمعنى مجموعة من الأسباب والبراهين التّي تُقدّم لدعم فعل أو رأي، ولفظة Argue أيّ جدال بين طرفين متعارضين كل واحد منهما يريد فرض رأيه بواسطة حجج وأدلة [2].

على ضوء هذا التحوّل في المعنى اللّغوي العربي والغربي، يمكن استنباط مجموعة من المعاني الاصطلاحية للحجاج:

التعريف الاصطلاحي:

اختلفت تعاريف الحجاج بين العديد من اللّغويّين سواء كانوا غربا أم عربا:

(1) -Le Petit Larousse Illustrè, Paris, 2004, p :83

(2) -Color Oxford English Dictionary, Oxford University Prees, Third edition 2006, p:32

1– عند الغربيّين:

أ– أرسطو:

يرى أرسطو (ت:322ق.م) أنّ الحجاج يشترك مفهومه مع الخطابة من خلال وظيفتي التأثير والإقناع، "فالخطابة قوة تتكلف الإقناع الممكن في كل واحد من الأمور المفردة"[1]، إذ يُعدّ الاقتناع الهدف الرئيسي للخطابة.

ولقد فصّل أرسطو في حديثه عن الخطابة بين السفسطة والجدل، إذ يرى أنّ السفسطة تميل إلى التأثير العاطفي وإثارة المشاعر والانفعالات لإرضاء الجمهور واستمالته على غير وجه حق[2]، وأمّا الجدل فيتنزّل في منزلة وسطى بين الخطابة والبرهان، فهو لا يستنجد بفضائل القائل ولا يُعوّل على عواطف الجمهور[3].

من هنا كان الحديث عن الحجاج عند أرسطو باعتباره فنّ الإقناع أو مجموع التقنيات الّتي تحمل المتلقّي على الاقتناع أو الإذعان، وهو حديث يستدعي ظهور مصطلح آخر هو الجدل الّذي عرّفه أرسطو بكونه علم الاستدلال المنطقي وأنّه يستدلّ انطلاقا من المحتمل[4].

([1])– أرسطوطاليس. الخطابة، الترجمة العربية القديمة، تح:عبد الرحمن بدوي، دار القلم، بيروت–لبنان، 1979م، ص:9.

([2])– عبد الله البهلول. الحجاج الجدلي–خصائصه الفنيّة وتشكّلاته الأجناسية في نماذج من التراث اليوناني والعربي، مطبعة دار نهى للطباعة، تونس، الطبعة الأولى، 2013م، ص:76.

([3])– المرجع نفسه، ص:79.

([4])– ينظر: سامية الدّريدي. الحجاج في الشعر العربيّ بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، الأردن، الطبعة الثانية،2011م، ص:18.

الظاهر من أقوال أرسطو أنّ الحجاج له علاقة بالخطابة والجدل، إذ إنّ الخطابة تعتمد الحجاج شأنها في ذلك شأن الجدل، فهو في الخطاب حجاج بالمثل خاصة ولكنّه في الجدل حجاج بالقياس في أغلب الأحيان.[1]

ب– بيرلمان وتيتيكا:

يعرّف شاييم بيرلمان Chaïm Perlman و أولبرخت تيتيكا L.O Tyteca الحجاج انطلاقا من موضوعه الّذي هو:"درس تقنيات الخطاب التّي من شأنها أن تؤدّي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم"[2]، بمعنى أنّ الحجاج ذا وظيفة خطابية تعتمد على الإقناع والتسليم بما يُعرض من حجج وبراهين.

فغاية الحجاج عندهما "إنّ غاية كلّ حجاج أن يجعل العقول تذعن لما يُطرح عليها أو يزيد في درجة ذلك الإذعان، فأنجع الحجاج ما وُفّق في جعل حدّة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين"[3].

وفي تعريف آخر: "هو جملة من الأساليب تضطلع في الخطاب بوظيفة هي حمل المتلقّي على الاقتناع بما نفرضه عليه أو الزيادة في حجم هذا الاقتناع"[4]، فحسب بيرلمان وتيتيكا فإنّ التفاعل التأثيري والإقناعي منوط بالأساليب الّتي تؤدّي إلى وظيفة الإقناع، ذلك أنّ "الحجاج أصل في كل تفاعل، كائنا ما كان[5].

([1])– ينظر: سامية الدّريدي. الحجاج في الشعر العربيّ بنيته وأساليبه، ص:18.

([2])– محمد سالم محمد الأمين الطلبة. الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديد، بيروت– لبنان، الطبعة الأولى، 2008م، ص:107.

([3])– المرجع نفسه، ص:107.

([4])– سامية الدّريدي. الحجاج في الشعر العربي، ص:21.

([5])– طه عبد الرحمن. اللّسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثّقافي العربي، بيروت–لبنان، الطبعة الأولى، 1998م، ص:229.

يتميّز الحجاج عند بيرلمان بخمسة ملامح رئيسية:

1- أن يتوجّه إلى مستمع.

2- أن يعبّر عنه بلغة طبيعية.

3- أن تكون مسلّماته لا تعدو كونها احتمالية.

4- ألاّ يفتقر إلى ضرورة منطقية بمعنى الكلمة.

5- أن تكون نتائجه غير ملزمة (احتمالية غير حتمية)[1].

من هذه الملامح والوظائف نرى أنّ الحجاج يعتمد على الرأي الآخر (المستمع) ويعتمد أيضا على الآليات البرهانية الّتي تعتمد على المنطق، والّتي من شأنها الوصول إلى نتائج احتمالية لا حتمية، فالحجاج عند بيرلمان لا يتّسم بالموضوعية المطلقة، ولذا يقول عبد الله صولة: "الحقيقة فيه –الحجاج- ليست مضمونة، ولا هي واحدة أو ضرورية أو مفارقة ومتعالية وموضوعية شأنها في الاستدلال، إنّما الحقيقة في الحجاج نسبية وذاتية"[2].

وبما أنّ النتيجة احتمالية ونسبية وليست مطلقة ولا حتمية فإنّ ذلك يتيح للمخاطَب تلقّي الحجج واقتناعه بها بنفسه وبمحض إرادته، بعيدا عن محاولة إقناعه رغما عنه عبر استمالته وإثارة عاطفته[3].

(1)- محمد سالم محمد الأمين الطلبة. الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص:108.

(2)- عبد الله صولة. في نظرية الحجاج-دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، الطبعة الأولى، 2011م، ص:14.

(3)- ينظر: جميل حمداوي. أنواع الحجاج ومقوماته-من حجاج أرسطو إلى حجاج البلاغة الجديدة، مطبعة Rive، المغرب، الطبعة الأولى، 2020م، ص:97.

ج– ديكرو وأنسكومبر:

لقد حصر أوزفالد ديكرو Oswald Ducrot وزميله جان كلود أنسكومبر J.C Anscombre الحجاج في المجال اللّغوي، وذلك بدراسة الجوانب الحجاجية في اللّغة، والاهتمام بالوسائل اللّغوية وإمكانات اللّغة التّي يتوفر عليها المتكلّم، ثم إنّها تنطلق من الفكرة التّي مؤادها :"إنّنا نتكلّم عامّة بقصد التأثير والإقناع"[1].

بيّن ديكرو وانسكومبر أنّ "الحجاج باللّغة يجعل الأقوال تتتابع وترتابط على نحو دقيق فتكون بعضها حججا تُدعم وتثبّت بعضها الآخر"[2]، أي إنّ المتكلّم يجعل الأقوال حججا لبعضها البعض لإقناع المتلقّي بها، وذلك على نحو صريح أو بشكل ضمني، حيث إنّ المتكلّم قد يصرّح بالنتيجة أو قد يخفيها فيكون على المتلقّي استنتاجها لا من مضمون هذه الأقوال بل اعتمادا على بنيتها اللّغوية[3].

وعليه يقول ديكرو: "فعل الحجاج يفرض على المخاطَب نمطا معيّنا من النتائج باعتباره الاتّجاه الوحيد الذّي يمكن أن يسير فيه الحوار، والقيمة الحجاجية لقول ما هي نوع من الإلزام يتعلّق بالطريقة التّي ينبغي أن يسلكها الخطاب بخصوص تناميه واستمراره"[4]، ذلك أنّ كل قول هو قول حجاجي وأنّ الحجاج لصيق باللّغة ولا يمكن الفصل بينهما.

(1)– أبو بكر العزّاوي. اللّغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 2006م، ص:14.

(2)– سامية الدّريدي. الحجاج في الشعر العربي، ص:23.

(3)– ينظر: المرجع نفسه، ص:23.

(4)– أبو بكر العزّاوي. اللّغة والحجاج، ص:16.

د– ميشال مايير:

إنّ مفهوم ميشال مايير Michel Meyer عن الحجاج هو أنّه: "بمثابة جواب عن سؤال يطرحه المخاطَب ليواجه به المتكلّم مالك سلطة القيم"[1]، بمعنى أنّ المتكلّم يقدّم أجوبة محتملة لأسئلة حجاجية فلسفية يلقيها المخاطَب، ومن هنا وجب مناسبة الجواب للسؤال.

فالحجاج يعمل على إيجاد الأجوبة وإقناع المتلقّي وفي تعريف آخر لمايير للحجاج : "هو دراسة العلاقة القائمة بين ظاهر الكلام وضمنيه" و يضيف قائلا: "إنّ ظاهر الكلام هو الجواب وضمنيه هو السؤال"، إذ إنّ الحجاج هو إثارة الأسئلة وإثارة الأسئلة هي الأساس الذّي ينبني عليه الخطاب[2].

2– عند العرب:

أ– الجاحظ:

يعود أصل الحجاج عند الجاحظ(ت:255هـ) إلى علم الكلام القائم على البرهنة العقلية على المسائل المتعلّقة بالإلهيات والعقائد، حيث يتوجّب على المتكلّم أن يؤسس مواقفه الكلامية على براهين نظرية داعمة ومؤيدة [3].

التفت الجاحظ إلى الحجاج في مواضع عدّة، منها ما ذكر في كتابه "البيان والتبيين" عن ماهية البلاغة على لسان بعض أهل الهند: "قال بعض أهل الهند: جماع البلاغة البصر بالحجّة والمعرفة

([1])– جميل حمداوي. أنواع الحجاج ومقوماته، ص:207.

([2])– عبد الله صولة. الحجاج في القرآن من خلال أهمّ خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت–لبنان، الطبعة الثّانية، 2007م، ص:39.

([3])– هيثم سرحان. الحجاج عند الجاحظ: بحث في المرجعيات والنصّيات والآليات، المجلّة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، ع115، 2011م، ص:59.

بمواضع الفرصة، ثم قال: ومن البصر بالحجّة، والمعرفة بمواضع الفرصة، أن تدع الإفصاح بها إلى الكناية عنها، إذا كان الإفصاح أوعر طريقة وربما كان الإضراب عنها صفحا أبلغ في الدرك، وأحق بالنظر"[1]، إذ يشير إلى أنّ من حسن اختيار الحجج والإلمام بها تتحقق الغاية من الحجاج، وهي إقناع الخصم ودحض حججه.

إنّ مقاصد الحجاج عند الجاحظ تهدف إلى تقويض بيان خطاب الخصوم، وتشييد خطاب مضاد بهدف استمالة الناس إلى فحوى الخطاب، وتحقيق تأييدهم لمضمونه، وذلك يكون عبر المعرفة والمبادئ العقلية والآليات الحجاجية كما كان جليّا في الحجاج الجاحظيّ الّذي مثّل نموذجا مشرقا ودالاّ على ثقافة الحوار والحجاج، التّي كانت سائدة في الثقافة العربية القديمة [2].

ب– طه عبد الرحمن:

يرى طه عبد الرحمن أنّ الحجاج متأصّل في الخطاب وأنّ الأصل في تكوثر الخطاب هو صفته الحجاجية بناء على أنه لا خطاب بغير حجاج وأنه لا حجاج بغير خطاب [3].

كما يعرف الحجاج بأنّه:" كل منطوق به موجّه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها"[4]، ويتّضح أنّ المنطوق به –حسب كلامه– هو الخطاب الذّي يحمل البرهان والحجّة لغرض الإقناع.

أي إنّ الحجاج يقوم على التفاعل وتحصيل قصدين حواريّين هما قصد الادّعاء وقصد الاعتراض، وقصدين مقاميّين قصد التوجّه وقصد الإفهام، بحيث يستلزم في الحوار تحصيل قصد

(1)– الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. البيان والتبيين، مكتبة الخانجي، القاهرة–مصر، الطبعة السابعة، 1998م، ج1، ص:88.

(2)– هيثم سرحان. الحجاج عند الجاحظ، المرجع السابق، ص:82.

(3)– ينظر: طه عبد الرحمن. اللّسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص:213.

(4)– المرجع نفسه، ص:226.

المدّعي (المتكلّم) ومن ثمّ تحصيل قصد المعترض (المتلقّي) وأمّا فيما يخص قصد التوجّه فإنّه لازم من لوازم الادّعاء وأمّا قصد الإفهام فإنّه لازم من لوازم الاعتراض فلا يعترض إلاّ من فهم[1].

ويظهر أنّ المستدلّ الحجاجي مطالب بتحصيل قصدين آخرين لتجنّب الالتباس وهما قصد العلم بالشيء وقصد العمل به، فأمّا قصد العلم بالشيء فإنّ المحاجج يحتاج إلى المعرفة وإلاّ فلا يستحقّ المحاورة، وأمّا قصد العمل بالشيء أي ينتفع بما يعلمه، فترك العمل بما يعلم يجعله إمّا متّبعا لهواه، فيكون ذلك دليلا على نقص في عقله، وأمّا مترددا في سلوكه، فيكون ذلك دليلا على ضعف إدراكه[2].

ج– أبو بكر العزّاوي:

يعدّ أبو بكر العزّاوي من أهمّ الباحثين في الدراسات الحجاجية اللّسانية في العالم العربي، كونه نظر إلى الحجاج باعتباره ظاهرة لغوية فقال: "هو تقديم الحجج والأدلّة المؤدّية إلى نتيجة معيّنة، ويتمثّل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب"[3]، وقال أيضا: "يتمثّل الحجاج في إنجاز متواليات من الأقوال، بعضها هو بمثابة الحجج اللّغوية، وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التّي تستنتج منها"[4]، ويعني أنّ الحجاج عبارة عن أقوال لغوية نستنتج منها النتائج.

كما يرى أنّ للّغة دور هام في العملية الحجاجية ويتجلى ذلك من خلال قوله: "إنّ كون اللّغة لها وظيفة حجاجية يعني أنّ التسلسلات الخطابية محددة لا بواسطة الوقائع المعبّر عنها داخل الأقوال

(1)– ينظر: طه عبد الرحمن. اللّسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص:226.

(2)– ينظر: المرجع نفسه، ص:231.

(3)– أبو بكر العزّاوي. اللّغة والحجاج، ص:16.

(4)– المرجع نفسه، ص:16.

فقط، لكنّها محدّدة أيضا وأساسا بواسطة بنية هذه الأقوال نفسها، وبواسطة المواد اللّغوية التّي تمّ توظيفها وتشغيلها"[1].

([1])- أبو بكر العزّاوي. اللّغة والحجاج، ص:16-17.

المبحث الثاني: أنواع الحجاج وآلياته

1- أنواع الحجاج:

أ- الحجاج المنطقي:

إنّ المنطق الطبيعيّ هو منطق لغويّ يستعمل خطابا لفظيا تبادليا بين المتكلّم الّذي يمتلك سلطة اللّغة والمتلقّي الطبيعي الذّي يوجد في زمان ومكان معيّن ويحمل ثقافة معيّنة ومن ثمّ كلّ خطاب له لغة طبيعية يمتلك بعدا حجاجيا، مادام مرتبطا بالسياق (المتكلّم، المتلقّي، الزمان، المكان، الثقافة)[1].

ويصف جان غرايز Jean-Blaise Grize المنطق بطريقة تقنية، بأنه منطق الفاعلين وللأشياء، فطالما أنّه يتحقق في استخدام اللّغة، وأنّه يحدث في سياق تعبير مشترك وتواصلي؛ فإنّه يتطلّب أخذ الجوانب المتعلّقة بفاعلي التلفّظ؛ كأوضاعهم ومقاصدهم[2].

وبما أنّ المنطق منطق الأشياء، فإنّه يشتغل على مرجعيات مشتركة بين أطراف الحجاج مثل الأشياء الفكرية المعرفية المبنيّة بواسطة أطراف التفاعل؛ ففي الوقت الذّي يهدف فيه المنطق الصوري إلى وصف القواعد المتعلّقة بالبرهان، يهدف المنطق الطبيعيّ إلى تحديد العمليّات التواصليّة وفق الألفاظ وطريقة ترابطها، فهو ليس شكليّاً ولا رمزيّاً يعمل من فراغ، إنّما يتعلّق بالوقائع، وعلى عكس المنطق الصّوري فإنّه خلاّق يسمح بعمليّات مبتكرة، وليس فقط ميكانكية، كما أنّه طَرحٌ في إطار نصي، حواريّ، تواصلي[3].

([1])- ينظر: جميل حمداوي. أنواع الحجاج ومقوّماته، ص:176.

([2])- فيليب بروتون و جيل جوتييه. تاريخ نظريات الحجاج، تر: محمد صالح ناحي الغامدي، مركز النشر العالمي جامعة الملك عبد العزيز، السعودية، الطبعة الأولى، 2011م، ص:98.

([3])- ينظر: المرجع نفسه، ص:97-98.

ومن خلال معرفتنا بأنّ الحجاج له وظيفتان بارزتان: التأثير والإقناع، التأثير مرتبط بالعاطفة والوجدان، والإقناع بالعقل والمنطق، فإنّ نظريّة "جرايز" المنطقيّة تهتمّ بالإقناع العقلي الّذي يترابط مع المنطق العقلي، ومن هنا فلا بدّ أنّ يقوم المحاجج بوضع خطّة حجاجية لإقناع السامع تكون مبنيّة على وجود مواضيع مشتركة ومتداخلة وقواسم معرفية بين المتكلّم والسامع التّي من شأنها إدراك المضامين وتبيان العمليّات التّي ينبني عليها الخطاب منطقيّا[1].

ب– الحجاج اللّساني:

تعدّ نظرية الحجاج اللّغويّ إحدى النّظريات الحديثة في الحجاج التّي تُعنى بالوسائل اللّغوية الحجاجية، ذلك أنّ اللّغة تحمل في طيّاتها مؤشرات لسانية ذاتية تدلّ على طابعها الحجاجي دون أن يكون ذلك متعلّقا بالسيّاق التّداوليّ الخارجيّ[2].

لقد ركّز ديكرو وأنسكومبر على أهميّة اللّغة ودورها في عمليّة الحجاج داحضين من خلال ذلك أنّ اللّغة ذات وظيفة تواصلية إخبارية فقط.

إنّ كون اللّغة لها وظيفة حجاجية فهذا يعني أنّ التسلسلات الخطابية التّواصلية محدّدة، لا بواسطة الوقائع المعبّر عنها داخل الأقوال فقط، ولكنّها محدّدة أيضا وأساسا بواسطة بنية هذه الأقوال نفسها، وبواسطة المواد اللّغوية الّتي تمّ توظيفها وتشغيلها[3].

وعليه فإنّ الحجاج متجذّر في اللّغة ولصيق بها في كل مظاهرها الصّوتية والتّركيبية والدّلالية[4]، كما سعى ديكرو وأنسكومبر في إثبات أنّ الخطاب ليس فقط وسيلة بل هو غاية أيضا، فهو وسيلة

([1])– ينظر: جميل حمداوي. أنواع الحجاج ومقوّماته، ص:177.

([2])– المرجع نفسه، ص:168.

([3])– أبو بكر العزّاوي. اللّغة والحجاج، ص:16-17.

([4])– جايلي عمر. نظرية الحجاج اللّغوي عند أوزفالد ديكرو وأنسكومبر، مجلّة العمدة في اللّسانيات وتحليل الخطاب، العدد الثالث، 2018م، ص194.

إخبارية تكمن غايتها في التأثير على الغير، وهذه العمليّة التّأثيرية هي الّتي تدعى الحجاج بالنسبة لنا، فيقولان: "نقول عن المتكلّم إنّه يقوم بحجاج حينما يُقدّم القول ق1 (أو مجموعة من الأقوال) وغايته في ذلك حمله على الاعتراف بقول ق2 (أو الأقوال)[1]، وهذا كلّه في نطاق التأثير والإقناع عبر الأقوال الحجاجية.

ومن بين سمات النّظرية الحجاجية اللّغوية نجد الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية، وأيضا السلّم الحجاجي:

الروابط الحجاجية:[2]

إنّ في كلّ لغة نجد الروابط والعوامل الحجاجية التّي تتباين وظائفها وقيمتها الحجاجية.

والروابط هي الّتي تربط بين قولين أو بين حجّتين على الأصح أو أكثر، ومن بين هذه الروابط: لكن، بل، إذن، حتّى، لاسيّما، إذ، لأنّ، بما أنّ، مع ذلك، ربّما، تقريبا، إنّما، ما، إلا...إلخ

العوامل الحجاجية:[3]

أمّا العوامل فهي لا تربط بين حجّة وأخرى، بل تقوم بدور حصر الإمكانات الحجاجية الّتي تكون لقول ما، ومن بين هذه العوامل: ربما، تقريبا، كاد، قليلا، كثيرا، ما...إلاّ، وكل أدوات القصر.

ولتوضيح مفهوم العامل الحجاجي نرى في المثالين الآتيين:

- الساعة تشير إلى الثامنة.
- لا تشير الساعة إلاّ إلى الثامنة.

([1])- جايلي عمر. نظرية الحجاج اللّغوي عند أوزفالد ديكرو وأنسكومبر، ص:196.

([2])- أبو بكر العزّاوي. اللّغة والحجاج، ص:26.

([3])- المرجع نفسه، ص:27-29.

تمّ إدراج أدوات القصر (لا، إلاّ)، ولم ينتج عن ذلك أيّ اختلاف بين المثالين بخصوص القيمة الإخبارية، لكن الذّي تأثّر بهذا التعديل هو القيمة الحجاجية للقول، أي الإمكانات الحجاجية الّتي يتيحها، وهذه الإمكانات التّي توصلنا إلى نتائج من قبيل: الدعوة إلى الإسراع، التّأخّر والاستبطاء ثمّ تغييرها بواسطة العامل الحجاجي وأصبحت النتيجة المضادّة لها (لا تسرع) وأصبح التقدير للقول:

- لا تشير الساعة إلاّ على الثامنة لا داعي للإسراع.

السلّم الحجاجي:[1]

السلّم الحجاجي هو علاقة ترتيبية للحجج يمكن أن نرمز لها كالتّالي:

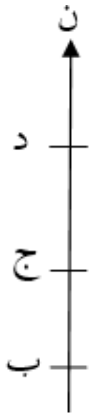

"ن"= النتيجة

"ب" "ج" "د"= حجج وأدلّة تخدم النتيجة "ن"

فعندما تقوم بين الحجج المنتمية إلى فئة حجاجية ما علاقة ترتيبية معيّنة، فإنّ هذه الحجج تنتمي حينها إلى نفس السلّم الحجاجي، حيث إنّ السلّم الحجاجي هو فئة حجاجية موجّهة.

ويتّسم السلّم الحجاجي بالسمتين الآتيتين:[2]

(1)- أبو بكر العزّاوي. اللّغة والحجاج، ص:20.

(2)- المرجع نفسه، ص:21.

1- كل قول يرد في درجة ما من السلّم، يكون القول الذّي يعلوه دليلا أقوى منه بالنسبة لـ "ن" (النتيجة).

2- إذا كان القول "ب" يؤدّي إلى النتيجة "ن" فهذا يستلزم أنّ "ج" أو "د" الّذي يعلوه درجة يؤدّي إليها والعكس غير صحيح، ومثال ذلك في الاقوال الآتية:

أ- حصل زيد على الشهادة الثّانوية.

ب- حصل زيد على شهادة الإجازة.

ج- حصل زيد على شهادة الدكتوراه.

هذه الجمل تتضمّن حججا تنتمي إلى نفس الفئة الحجاجية، وهذا يعني نفس السلّم الحجاجي، فكلّها تؤدّي إلى نتيجة مضمرة من قبيل كفاءة زيد أو مكانته العلمية، لكن القول الاخير هو الّذي سيكون في أعلى درجات السلّم الحجاجي وهو حصول زيد على الدكتوراه.

قوانين السلّم الحجاجي:[1]

وهي حسب عبد الرحمن طه ثلاثة:

1- قانون الخفض: مفاده أنّه إذا صدق القول في مراتب معيّنة من السلّم فإنّ نقيضه يصدق في المراتب التّي تقع تحتها.

2- قانون تبديل السلّم: مقتضى هذا القانون أنّه إذا كان القول دليلا على مدلول معيّن، فإنّ نقيض هذا القول دليل على نقيض مدلوله.

3- قانون القلب: ومقتضى هذا القانون أنه إذا كان أحد القولين أقوى من الآخر في التّدليل على مدلول معيّن، فإنّ نقيض الثّاني أقوى من نقيض الأول في التّدليل على نقيض المدلول.

(1)- ينظر: طه عبد الرحمن. اللّسان والميزان أو التكوثر العقليّ، ص:278.

ج– الحجاج البلاغيّ:

هو الحجاج الّذي يقوم على التقنيات والأساليب البلاغية التّي تهدف إلى الإقناع والتأثير، إذ يعدّ فنّا للتعبير لامتلاكه أدوات مؤثّرة لها قيمة برهانية[1]؛ ذلك أنّ البلاغة في طابعها العام مرتبطة بالمقصدية الحجاجية الإقناعية.

ويبدو من الظاهر أنّ الأساليب البلاغية لها طبيعة فنيّة جمالية وتزيينية وظيفتها الإمتاع فقط، فيقول بيرلمان متحدّثا عن الصورة: "تعدّ الصورة حجاجية ذات منظور مغاير؛ إذا بدا استعمالها مألوفا بالنسبة لوضعها الجديد المفترض، أمّا إذا لم يهدف الخطاب إلى استجلاب موافقة المستمع لهذه الصيغة الحجاجية؛ فإنّ الصورة ستصبح محسّنا بديعيا، لا تعدو أن تغدو مبعث إعجاب أو مصدر استحسان الخطيب"[2].

والبلاغة كما في معظم تعاريفها وضوح المعنى مع مراعاة الإيجاز، إذ البلاغة عند العرب قليل يُفهم وكثير لا يُسأم، وهي أيضا إجاعة اللّفظ وإشباع المعنى أي إصابة المعنى وحسن الإيجاز[3].

وأمّا عندما نتطرّق إلى علاقة البلاغة بالحجاج فإنّه لا مفرّ من البلاغة لأيّ حجاج دون أن يؤدّي ذلك إلى التحريض، فأهمية الوسائل البلاغية تكمن فيما توفّره للقول من جمالية قادرة على تحريك وجدان المتلقّي، فإذا انضافت تلك الجمالية إلى الحجج أمكن للمتكلّم تحقيق غايته من إقناع أو توجيه، أيّ إنّ الحجاج لا غنى له عن الجمالية فالجمالية تقوّي العملية الإقناعية وتيسّر على المتكلّم الوصول إلى عوالم المتلقّي الفكرية والشعورية والفعل فيها[4].

([1])– ينظر: مثنى كاظم صادق. أسلوبية الحجاج التّداولي والبلاغيّ–تنظير وتطبيق على السور المكّية، منشورات ضفاف، بيروت–لبنان، الطبعة الأولى، 2015م، ص:47.

([2])– جميل حمداوي. أنواع الحجاج ومقوّماته، ص:110.

([3])– سامية الدّريدي. . الحجاج في الشعر العربيّ بنيته وأساليبه، ص:119.

([4])– ينظر: المرجع نفسه، ص:120.

وفي هذا الصدد يقول أوليفيي روبول Olivier Reboul متكلّما عن البلاغة: "لن نبحث عن جوهر البلاغة لا في الأسلوب ولا في الحجاج، بل في المنطقة الّتي يتقاطعان فيها بالتحديد، بعبارة أخرى ينتمي إلى البلاغة كلّ خطاب يجمع بين الحجاج والأسلوب...كل خطاب يقنع بالمتعة والإثارة مدعمتين بالحجاج"[1]، فعندما يجتمع الحجاج والأسلوب تتحقّق الغاية من البلاغة من إقناع وتأثير وإمتاع.

وتكلّم ريتشاردز I.A. Richards عن البلاغة واخترلها في نظرية الاستعارة وفضّلها على الأساليب البلاغية الأخرى ذلك أنّه يعدّها من أسمى المظاهر البلاغية الّتي تستطيع أن ترقى إلى مستوى التصوير اللّغوي، فيقول: "إنّ العناصر اللّازمة لاكتمال التجربة لا تكون دائما موجودة على نحو طبيعيّ، ولذلك فإنّ الاستعارة تخلق الفرصة لإدخال هذه العناصر خلسة"[2]، إذ للاستعارة إمكانية استيعاب الكثير من المعاني على غرار الأساليب البلاغية الأخرى.

والاستعارة في الأساس من أهمّ خصائص الخطاب بشكل عام والخطاب الحجاجي بشكل خاص، ذلك أنّها آلية من آليات الإقناع ضمن الوجهة الحجاجية للخطاب[3].

ويقول عبد القاهر الجرجاني (ت:471هـ) عن الاستعارة: "الاستعارة في الجملة أن يكون للّفظ أصل في الوضع اللّغوي معروف تدلّ الشواهد على أنّه اختُصَّ به حين وُضع، ثمّ يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلا غير لازم، فيكون هناك كالعاريَّة"[4]، أي

([1])– محمد العمري. البلاغة الجديدة بين التخييل والتّداول، أفريقيا الشّرق، المغرب، الطبعة الثّانية، 2012م، ص:22.

([2])– سعاد أنقار. البلاغة والاستعارة من خلال كتاب "فلسفة البلاغة" لريتشاردز، الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2010م، ج2، ص:153-154.

([3])– ينظر: مثنى كاظم صادق. أسلوبية الحجاج التّداولي والبلاغيّ، ص:177.

([4])– عبد القاهر الجرجاني، أبو بكر بن عبد الرحمن بن محمد. أسرار البلاغة، تع: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدّة– السعودية، 1431هـ–2010م، ص:30.

انتقال اللّفظ من وضعه اللّغوي حسب ما يلائم المعنى وما تقتضيه الضرورة للإقناع من جهة والجمالية من جهة.

ذلك أنّ الأهمية في الاستعارة تكمن في المضمون الدّلالي الّذي تحمله إلى المخاطب بغضّ النظر عن مستواها غير الحقيقي بغيّة بناء هويّة إقناعية عن طريق الحقيقة على أنّها تنهال من الحقيقة المستعار منه وإعادة توصيفه وتشخيصه[1].

2- تقنيات الحجاج:

يرى بيرلمان وتيتيكا أنّ جوهر الحجاج دراسة تقنياته وآلياته التّي من خلالها تتمّ العملية الحجاجية، ولقد حصرا أشكال الحجاج في تقنيتين: تقنية تقوم على الوصل وتقنية تقوم على الفصل.

أ- الحجج القائمة على الوصل:

هي الطرائق والأدلّة التّي تقرّب بين العناصر المتباعدة المتباينة، وخلق نوع من التّضام حتّى تصبح بنية هيكلية متّسقة ومنسجمة[2]، وتنقسم إلى:

- **الحجج شبه المنطقية:**

تستمدّ الحجج شبه المنطقية قوّتها الإقناعية من مشابهتها للطرائق الشكلية والمنطقية والرياضية في البرهنة، وتعتمد على البنى المنطقية مثل "التناقض" و"التماثل" و"التعدية"، وأيضا تعتمد على العلاقات الرياضية مثل "علاقة الجزء بالكلّ" و "حجّة المقارنة" وغيرها.

- **حجّة التّناقض والتعارض:** المقصود بالتّناقض أن تكون هناك قضيّتان في نطاق مشكلتين إحداهما نفي للأخرى ونقض لها (كأنّ يقال المطر ينزل ولا ينزل) في حين أنّ عدم الاتّفاق

(1)- ينظر: مثنى كاظم صادق. أسلوبية الحجاج التّداولي والبلاغيّ، ص:186.

(2)- جميل حمداوي. أنواع الحجاج ومقوّماته، ص:119.

يتمثّل في وضع الملفوظين على محكّ الواقع والظروف لاختيار إحدى الأطروحتين وإقصاء الأخرى فهي خاطئة [1].

ومن باب التّناقض فيما نجده عند المحاور في إيجاد أمرين متناقضين لدفع الحجّة ودحضها مثل أن نجد "سب الرسول صلّى الله عليه وسلّم عند بعض الغربيّين بدعوى حريّة التعبير، وفي الوقت نفسه نجدهم يجرّمون الكلام في اليهود باسم السامية"، تناقض يبطل الحجّة[2].

- **حجّة التماثل:** إنّ التّماثل طريقة نتوخّاها في تقويم شيء ما تقويما إيجابيا أو سلبيا بواسطة الحشو كقول القائل: حين "أرى ما أرى أفكّر في ما أفكّر"، ففي هذا القول نجد اللّفظ الثّاني دائما هو الّذي يحمل القيمة الدّلالية شان ما يحدث في ظاهرة التكرار[3].

- **حجّة التبادل:** تتمثّل وظيفة هذه الحجّة في معالجة وظيفيتين إحداهما بسبيل من الأخرى معالجة واحدة وهو ما يعني أنّ هاتين الوضعيتين متماثلتين وإن بطريقة غير مباشرة، وتماثلهما ضروري لتطبيق قاعدة العدل التّي هي تلك القاعدة الّتي تقتضي معاملة واحدة لوضعيات داخلة في مقولة واحدة مثل: " أحلال عليكم حرام علينا".

- **حجّة التعدية:** إنّ التعدية خاصية شكلية تتميّز بها أنواع من العلاقات الّتي تُمكّن لنا أن نمرّ من إثبات أنّ العلاقة بين "أ" و "ب" من ناحية و "ب" و "ج" من ناحية أخرى هي علاقة واحدة إلى استنتاج أنّ العلاقة نفسها موجودة بين "أ" و "ج"، وضروب العلاقات التّي تقوم على خاصية التعدية هي علاقات التّساوي والتفوّق والتضمّن مثل: "عدوّ عدوّي صديقي"،

([1])- ينظر: عبد الله صولة. في نظرية الحجاج، ص:42-43.

([2])- عبد القادر بلعجال ولعجال فضلي. من الحجاج الإغريقي إلى البلاغة الجديدة لبيرلمان، مجلّة بدايات، الأغواط-الجزائر، المجلّد الأول، العدد الرابع، 2020م، ص:155.

([3])- عبد الله صولة. في نظرية الحجاج، ص:45.

حيث يدعم الحجاج شبه المنطقي ما يمكن أن يستخلص من هذه الحكمة أنّه: "صديق عدوّي عدوّي"[1].

– **الحجج التّي تعتمد العلاقات الرياضية:** ومنها:

- **إدماج الجزء في الكلّ:** بمعنى ما ينطبق على الكل ينطبق على الجزء، من قبيل القاعدة الفقهية في تحريم الخمر: "ما أسكر كثيره فقليله حرام".

والعلاقة في إدماج الجزء في الكل منظور إليها عادة من زاوية كميّة فالكل يحتوي الجزء[2].

- **تقسيم الكل إلى الجزء:** ويعرف بحجّة التقسيم أو التوزيع، وهي تصور الكلّ على أنّه مجمل أجزائه تبنى عليه مجموعة من الحجج كقولنا: "الكلام اسم وفعل وحرف".

وحجّة التقسيم لا تصلح حجّة فحسب، بل تكون كذلك وسيلة لخلق الحضور بواسطة تعدد الأجزاء[3].

- **حجّة المقارنة:** يقول بيرلمان عن حجّة المقارنة أنّها :"تعد حجّة شبه منطقية عندما لا ينتج عنها فكرة أو قياس فعلي"، ذلك أنّ تأثيرها الحجاجي متشكّل من :"الفكرة الضمنية التّي نستطيع عند اللّزوم دعم حكمها من خلال عملية تحكم"، بحيث إنّ الأمر يتعلّق بمقارنة فعلية، كلمة بكلمة وليس بداية قياس أو مثال بسيط[4].

([1])– ينظر: عبد الله صولة. في نظرية الحجاج، ص:45-46.

([2])– المرجع نفسه، ص:47-48.

([3])– الحسين بنو هاشم. نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان، دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت–لبنان، الطبعة الأولى، 2014م، ص:69.

([4])– فيليب بروتون و جيل جوتيه. تاريخ نظريات الحجاج، مرجع سابق، ص:49.

فحين نقول: "إنّ خديها أحمران مثل التّفاحة" أو "إنّه أكثر غنى من قارون" نبدو وكأننا نصدر حكما قابلا للضبط[1].

– الحجج المؤسسة على بنية الواقع:

وهذه الحجج فرعان: حجج الاتصال التتابعي وحجج الاتصال الوجودي:

- **حجج الاتصال التتابعي:** وتعمل على الربط إمّا بالأسباب أو النتائج، وتنقسم على ثلاث حجج: الحجّة النفعية (الوصل السببي) حجّة التبذير، حجّة الاتّجاه:

- **الحجّة النفعية (الوصل السببي)**[2]: ويكون بالربط بين حدثين متتابعين بواسطة رابط سببي مثل: "اجتهد فتنجح"، وأيضا الاستخلاص من حدث ما سبب أحدثه وأدّى إليه مثل: "نجح لأنّه اجتهد"، وأيضا يرمي إلى التكهّن بما سينتج عن حدث ما مثل: "هو يجتهد فينجح".

ويعني هذا وجود ترابط وتتابع بين الحجج تتمثّل في انتقال السبب إلى النتيجة ومن النتيجة إلى السبب، وهذا ما يسمّيه بيرلمان بالحجّة البراغماتية التّي لها تأثير مباشر في توجيه السلوك، وتعدّ من أهمّ وسائل الحجاج إذ تعتمد على النتائج وذلك يجعل السبب كقيمة للوصول إليها.

- **حجّة التبذير:** تقوم هذه الحجّة على الاتصال والتتابع بعيدا عن السببية نحو هذا القول: "بما أنّنا شرعنا في إنجاز هذا العمل وضحّينا في سبيله بما لو أعرضنا عن تمامه لكان مضيعة للمال والجهد فإنّه علينا أن نواصل إنجازه"[3]، حيث يتمّ النظر الى الجهد والتضحيات لكي يتمّ اعتمادها كحجّة.

([1])- الحسين بنو هاشم. نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان، ص:69.

([2])- ينظر: عبد الله صولة. في نظرية الحجاج، ص:49-50.

([3])- المرجع نفسه، ص:50.

- **حجّة الاتّجاه:** وتقوم هذه الحجّة على التوجيه والتحذير وذلك باعتمادها على أسلوب الخطوة، أو أسلوب العمل بالمراحل في التحذير، فالخصم يتكهّن بالمراحل التالية فيعترض على المرحلة الأولى، مثلا في قول "منحدر زلق" فإنّه لن يستطيع الوقوف في منتصف الطريق، ومن تنازل إلى آخر سيؤول به الأمر إلى الاستسلام، بمعنى أنّ هذه الحجّة تُستخدم كلّما قُدّم هدف ما على أنّه مرحلة تمهّد للسير في اتّجاه ما[1].

- **حجج الاتصال التواجدي:** وأنماطها ثلاثة: الشخص وعمله، حجّة السلطة، حجّة الرمز:

الشخص وعمله: وتتعلّق بعلاقة الشخص بالفعل الذّي يسند إليه، إذ إنّ كل ما نثبته عن شخص ما نجد تبريره في الطريقة التّي يظهر بها، ونلاحظ في هذا المسار الحجاجي أنّ هذه الحجّة تبنى من الشخص إلى عمله وأيضا من العمل إلى الشخص مثل:

أولا: من الشخص إلى عمله:

شخص ⟵ عمل

لا يستقيم الظلّ والعود أعوج ⟵ أعوجّ الظلّ لأنّ العود معوجّ

ثانيا: من العمل إلى شخصه:

عمل ⟵ شخص

إنّ من قتل أباه وتزوّج أمّه لا يمكن إلاّ أن يكون مجنونا ⟵ الشخص في جوهره مجنون وأعماله تجليّات لذلك[2].

(1)- ينظر: الحسين بنو هاشم. نظرية الحجاج عند بيرلمان، ص:75.

(2)- ينظر: عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، ص:52.

- **حجّة السلطة:** وتتعلّق بهيبة المتكلّم ونفوذه وسطوته وتستخدم في ترجيح كفّة أطروحة ما، وتتعدد مواضعها فتكون إمّا دينية، علمية، مالية، قانونية وما إلى ذلك...كالأنبياء في السلطة الدينية، والعلماء في السلطة العلمية[1].

- **حجّة الرمز:** وهو الربط بين الرمز والمرموز حيث يقوم على الانتقال من الرمز إلى يرمز إليه مثلما ينتقل من العَلَم (الرمز) إلى الوطن (المرموز)، ثمّ إنّ العلاقة بينهما علاقة تشاركية من شأنها إثارة العواطف والأحاسيس، ولهذا فالوصل الرمزي هو ربط تواصلي تواجديّ[2].

– الحجج المؤسسة لبنية الواقع:

وهي نوعان: نوع يؤسس الواقع بواسطة حالات خاصة كالمثل، الشاهد، ونوع يؤسسه بواسطة التمثيل:

- **تأسيس الواقع بواسطة الحالات الخاصة:** ومن هذه الحالات:[3]

المثل: والمحاجّة بالمثل تعمل على برهنة قاعدة ما ودعمها وتكريسها كما في هذا القول "إنّ كل أموال قارون لم تُفده في شيء بحين أتى مَلَك الموت ليقبض روحه" فقد تمّ استعمال المثال وانطلقنا منه لتوضيح القاعدة ودعمها.

الاستشهاد: إذا كان المثل يبرهن القاعدة فإنّ الاستشهاد يقوّيها ويقوّي درجة التصديق بها، ونُظر للاستشهاد على أنّه صورة تؤسس القاعدة وتُثبّتها.

النموذج وعكس النموذج: والنموذج هو القدوة أو المثال الذّي لا يؤسس قاعدة فحسب بل يحضّ على عمل ما اقتداءً به ومحاكاة له، مثل الأنبياء، ومختلف الشخصيات ناجحين، مؤثّرين...إلخ.

(1)- ينظر: عبد الله صولة. في نظرية الحجاج، ص:52-53.

(2)- المرجع نفسه، ص:53-54.

(3)- ينظر: الحسين بنو هاشم، نظرية الحجاج عند بيرلمان، ص:84-85.

- **تأسيس الواقع بواسطة التمثيل:**

والتمثيل أداة برهنة ذو قيمة حجاجية وعامل خلق وإبداع، قائم على البنية الواقعية والبنية التصوّرية، إذ هو مواجهة بين بنى متشابهة وإن كانت من مجالات مختلفة ومثال ذلك في القرآن:

قال تعالى: "**مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**"[1]

حيث نجد في الآية أنّ العلاقة بين العناصر ليست علاقة تشابه بل تشابه علاقة وذلك أنّ علاقة المشركين بأوليائهم (الأصنام) تشبه علاقة العنكبوت ببيتها، والعلاقة الأولى تسمّى بالموضوع والثانية بالحامل اللّذان بدورهما يؤسسان القاعدة[2].

ب– الحجج القائمة على الفصل:[3]

إنّ الانفصال بين العناصر الحجاجية يقتضي وجود وحدة بينهما ومفهوم واحد لها قائم على اسم واحد يعيّنها، والفصل في عناصر المفهوم مردّه إلى الظاهر/الواقع بمعنى أنّ الأشياء والمعطيات كلّها يمكن أن يكون لها حدّ ظاهر زائف وحدّ واقعي حقيقي، حيث يمثّل الظاهر الحدّ الأول ما يخطر في الذهن ويدركه الفكر، في حين الحدّ الثاني الواقعي لا يمكن فهمه إلاّ من خلال علاقته بالحدّ الأول ومقارنة به فإنّه لا يمكن أن يكون إلاّ نتيجة فصل.

وتتجلّى طرائق الفصل بين العناصر في تعابير لغوية تفصل بين المفاهيم نحو:

ظاهري/حقيقي

([1])– سورة العنكبوت: الآية 41.

([2])– عبد الله صولة. في نظرية الحجاج، ص:57.

([3])– ينظر: المرجع نفسه، ص:63-64.

غير كذا/غير صحيح

وبعض الحمل الاعتراضية: "إنّ هذا البطل إن صح أنّه بطل"

وأيضا: "إنّ ملكا يفعل هذه الأفاعيل ليس ملكا"

حيث إنّ هذه التعابير تستمدّ مظهرها الحجاجي من فصلها داخل المفهوم الواحد بين ما هو ظاهري يَسِمه وما هو حقيقة ليست له على نحو يصبح المفهوم الواحد منقسما إلى حدّين.

وخلاصة القول تتمثل في كون أن الحجاج يعدّ من المصطلحات المتشعّبة في الدراسات اللغوية وغير اللغوية، إذ يضم مراتب كثيرة تحتوي على أصالة البلاغة والنّقد، لهذا لو رجنا إلى الحجاج في الدراسات الغربية نجد أنهم قد أفعموه داخل اللغة، وبعضهم نظر إليه من جانب الدلالة والآخر أدرجه ضمن نظرية المساءلة، لكن تبقى في نقاط المحصلة أن الحجاج في الدراسات الغربية مبني على أصول بلاغية، وهذا لا يعني أننا ننفي تراثنا العربي الذي نظر إلى الحجاج من زاوية لغوية بلاغية إقناعية، أي أن الحجاج لديهم قائم على البرهان العقلي والاستدلال المنطقي.

واعتبارا لهذه التقديمة يمكن القول إن الحجاج له أصوله ومرجعياته الفلسفية المنطقية لكونه لم يخرج من فراغ أو لم يقتصر على المعاني السّطحية بل تخطّاها إلى دراسات عميقة ممّا جعل النّقاد البلاغيين أن يقفوا عليه وقفة إجلاء وتميّز في مدوّنات كتبهم، وهذا ما فتح بابا جديدا للمعاصرين أن يطرقوا بابه وأن يقفوا على مضامينه تنظيرا وتطبيقا.

إذن يبقى الحجاج منبع خاص في مجال لمحاورة داخل غمار التجربة البلاغية سواء العربية منها أو الغربية.

الفصل الثاني:

حجاجية الحوار

المبحث الأول: تعريف الحوار

المبحث الثاني: استراتيجية الحوار الحجاجي

المبحث الثالث: حجاجية الحوار في الخطاب القرآني

تمهيد

يعد الحوار أحد آليات الاتصال والتواصل التي تؤدي إلى توحيد الفكر وتداول الرأي وقبول آراء الآخرين واحترامها، وهو وسيلة إقناعية وتعليمية –لا غنى عنها– لكل داعية وكل معلم وكل قائد، إذ لابد للقادة من إتقان مهارات الحوار ومعرفة ضوابطه واستراتيجياته وكيفية إدارته.

يشكل الحوار أصلا إسلاميا راسخا ومنهج عقديا ثابتا، وعليه يحتاج المتحاورون في هذا العصر إلى استنباط الحجج الإقناعية للحوار الواردة في القرآن الكريم والاقتداء بها في حواراتهم. وقد أمر الله سبحانه وتعالى أنبياءه بالدعوة إلى دين الله الحق وهو الإسلام، ودعاهم إلى الحوار ونهى عن حوار أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن، من لين الكلام، وجمال القول وضبط النفس.

ومن أهم أصول الحوار وضوابطه تحري الحجة والبرهان في الكلام، إذ لا قيمة لحديث أو كلام يعوزه الدليل والبرهان، ولكي يكون الحوار منتجا ومفيدا لابد لطرفي الحوار أو أطرافه من بناء أفكارهم وآرائهم على الأدلة الواضحة والبراهين القاطعة الصحيحة والخالية من الشوائب، فقد قيل: "إن كنت ناقلا فالصحة أو مدعيا فالدليل" [1]، ونجد أن القرآن يدعو دائما إلى إقامة الدليل والبرهان كأساس لقبول الأمور لقوله تعالى آمرا نبيه محمد صلى الله عليه وسلّم بمطالبة الكفار بالدليل: "**قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**"[2].

المبحث الأول: تعريف الحوار

أ– لغة: أصله من الحور (بفتح الحاء وسكون الواو) وهو الرجوع عن الشيء وإلى الشيء، قال لبيد:

وَما المَرءُ إِلّا كَالشِهابِ وَضَوئِه * يَحورُ رَماداً بَعدَ إِذ هُوَ ساطِعُ**

والمحاورة: مراجعة المنطق، والكلام في المخاطبة، وهم يتحاورون أي:

(1)– حمزة حسن سليمان صالح. حجية الحوار الإقناعي في القرآن الكريم حوارات سيدنا إبراهيم خليل الرحمان عليه السلام أنموذجا، مجلة التواصلية، مخبر اللغة وفن التواصل بجامعة يحي فارس، المدية، الجزائر، ع:14، 2019م، ص:263.

(2)– سورة البقرة: الآية 111

يتراجعون الكلام، واستحار الدار: استنطقها، من الحوار الذي هو الرجوع [1] [قلت: ومنه قوله تعالى: "**إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ**"[2] أي: يرجع إلى ربه] . وقال في الصحاح: حار يحور حورة وحؤورة: رجع، يقال حار بعد ما كار، والمحار: المرجع . وقال الشاعر:

نَحنُ مِن عامِرٍ بن ذُبيانَ وَالنا * سُ كَهامٍ مَحارُهُم لِلقُبورِ**

والمحاورة: المجاوبة، والتحاور: التجاوب. ويقال كلمته فما أحار إليّ جوبا وما رجع إلي حويرة ولا محورة ولا حوارا، أي ما ردّ جوابا.

واستحاره، أي: استنطقه[3].

وأحار عليه جوابه: رده. وأحرت له جوابا وما أحار بكلمة، والاسم من المحاورة؛ الحوير، تقول: سمع حويرهما وحوارهما[4].

وفي قاموس المحيط: والمحاورة والمحورة الجواب كالحوير والحوار ويكسر، والحيرة والحويرة ومراجعة النطق، وتحاوروا تراجعوا الكلام بينهم. والتحاور التجاوب[5].

أما في معجم اللغة العربية: حوَار (مفرد): ج حوارات (لغير المصدر):

1- مصدر: حَاورَ.

([1])- ينظر: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور. لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ج:4، ص:217-219.

([2])- سورة الانشقاق، الآية 14

([3])- ينظر: إسماعيل بن حماد الجوهري. الصحاح. دار العلوم للملايين، بيروت، لبنان، ط:3، 1403هـ، ج:2، ص:638-640.

([4])- ينظر: ابن منظور. لسان العرب، ص218.

([5])- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي. قاموس المحيط، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ج:2، ص:218.

2- حديث يجري بين شخصين أو أكثر "جرى حوار مفتوح بين الرئيس ومندوبي الصحف"/ حوار أدبي- حوار الطُّرْش : تباحث بين المخاطبين لا يفهم بعضهم بعضا-حوار هادئ: خالٍ من الانفعال و محاورة (مفرد) ج حوارات:

1- مصدر حاور.

2- جدل يدور بين اثنين أو أكثر في موضوعات معينة "دارت محاورة بين الأعضاء حول قضية تعريب العلوم"[1].

إذاً فالحوار هو تراجع الكلام والتجاوب فيه بالمخاطبة والرد، وعليه نستخلص أن الحوار هو الرجوع والمجاوبة.

ب- اصطلاحا: هو مراجعة كلام وتداوله بين طرفين. وعرّفه بعضهم بأنه نوع من الحديث بين شخصين أو فريقين يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة فلا يستأثر أحدهما دون الآخر، ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصّب وهو ضرب من الأدب الرفيع وأسلوب من أساليبه[2].

وقال بسام عجك: "الحوار هو: محادثة بين شخصين أو فريقين، حول موضوع محدد، لكل منهما وجهة نظر خاصة به، هدفها الوصول إلى الحقيقة، أو إلى أكبر قدر ممكن من تطابق وجهات النظر بعيدا عن الخصومة أو التعصب، بطريق يعتمد على العلم والعقل، مع استعداد كلا الطرفين لقبول الحقيقة ولو ظهرت على يد الطرف الآخر"[3].

(1)- د.مختار عبد الحميد. معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتاب، بيروت، د.ط، 1429هـ-2008م، ج:1، ص:444.

(2)- ينظر: يحي بن محمد حسن بن أحمد زمزمي. الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسّنة، دار التربية والتراث، مكة المكرمة، ط:1، 1414هـ-1994م، ص:22.

(3)- عجك بسام. الحوار الإسلامي المسيحي، دار قتيبة، دمشق، د.ط، 1418هـ، ص:20.

قد جاء في كتاب وسيط الإسلام: "الحوار مراجعة الكلام وتبادله بين المتحاورين وصولا إلى غاية مستنداً إلى أنه يجري بين صاحبين أو اثنين ليس بينهما صراع [1]، ومنه قوله تعالى: "**قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ**"[2].

نلاحظ أن المعنى الاصطلاحي للحوار لا يختلف كثيرا عن مدلولاته اللغوية، وعليه يمكننا صياغة تعريف جامع للحوار يراعى فيه ثلاثة عناصر أساسية:

الأول: أن يجمع بين خصمين بشكل مباشر يحمل كلاهما فكرتين متضادتين .

الثاني: أن يسعى كل خصم لنصرته أفكاره بحجج تدحض ما جاء به نظيره ترفع شأنه وتعلي مقامه فوق نظيره .

الثالث: أن تصاغ المعاني والمراجعات صوغاً لطيفا.

فوقوفنا على مفهوم الحوار يحيلنا للوقوف على مفهومي مصطلحين لهما علاقة وثيقة به وهما: الجدل والمناظرة؛ لقربهما من معنى الحوار، فالجدل هو المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالطة [3]، أما المناظرة فيعرفها طه عبد الرحمان بقوله: "المناظرة هي النظر من جانبين في مسألة من المسائل قصد إظهار الصواب فيها" [4].

([1])- ينظر: عبد الرب نواب الدين آل نواب. وسطية الإسلام ودعوته إلى الحوار، ورقة بحثية مقدمة للمؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من اللإرهاب، عُقد في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المدينة المنورة، من 1 إلى 3 ربيع الأول 1425هـ، ص:19.

([2])- سورة الكهف: الآية 37.

([3])- ينظر: معن محمود عثمان ضمرة. الحوار في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2005، ص:8.

([4])- طه عبد الرحمان. في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2000م، ص:46.

ويتضح من خلال مفاهيم هذه المصطلحات الثلاثة (الحوار، الجدل، المناظرة)، أن لفظ الحوار وإن كان مناوبة الحديث بين طرفين، فإنه لا يشمل على الخصومة والمنازعة كما في الجدل، ويكون غالبا في جو هادئ، ولغة الخطاب فيه لغة معتادة لا تشدد فيها.

وعليه نُجمل القول بأن الحوار قائم على ثنائية المتكلم والمتلقي مع مراعات الرسالة القائمة على جدل الحوار وبالتالي يُصبح هذا العنصر قائما على الإقناع الذي تتوخاه الرسالة، ولهذا نجد كثيرا من المفكرين –إن لم أقل كلهم– أمثال مالك بن نبي وطه حسين وغيرهم.. يولون أولويات بالغة للحوار القائم على الجدل والمخاطبة والاستدلال الحجاجي.

المبحث الثاني: استراتيجية الحوار الحجاجي

إن كل خطاب لغوي ذو طبيعة حوارية. فكل قول يوجد خلفه قائل/مُحاوِر، أي أنه يوَجه إلى مخاطَب/ محاوَر، ولكل واحد من المتحاورين وضع (statut) خاص ودور (rôle) محدد في الحوار، فالأول عارِض أو مقترِح (proposant) والثاني معارض (opposant) .[1] ويمكن توضيح ذلك من خلال الخطاطة التالية:

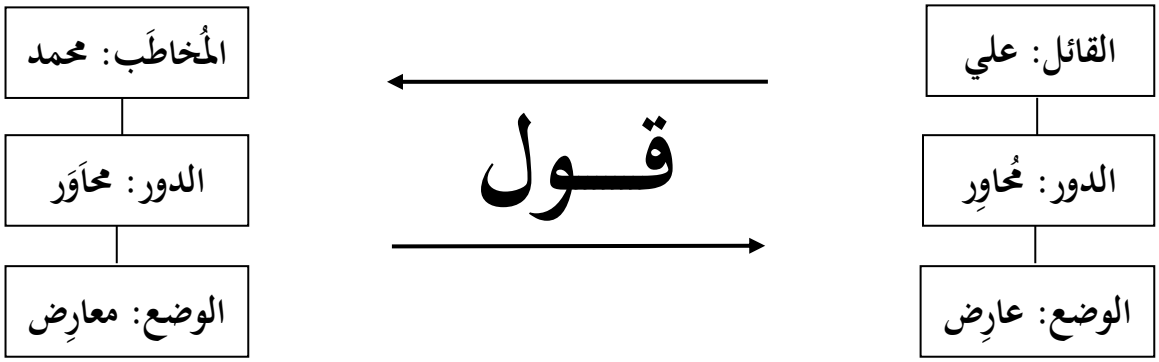

لا شك في أن الحوار الحقيقي والتواصل المثمر لا يقوم إلا على الحجاج بل إنّ كلّ عنصر من أي محاورة لا بدّ أن يعتبر جزءاً من محاجّة تمُرّر إما تلقائياً بين المتخاطبين أو أنّها تنتج أثناء المحاورة والتواصل.

وبعد دراستنا للحوار نجد أن كل حوار يهدف إلى تحقيق وظيفتين؛ وظيفة تعاملية ووظيفة تفاعلية، وللحوار الحجاجي خصوصية تجعل الحديث عن استراتيجيته الخطابية أمرا ضروريا لأجل فهم هذه الخصوصية، ثم إدراك أبعادها التداولية، ومن ثم إدراك دلالات بنيته الحجاجية ضمن هذه الاستراتيجية التي لا تزال تحمل غموضا في دلالتها. فمن جهة قد يعود هذا الغموض لكثرة استعماله في ميادين معرفية مختلفة، أو قد يعود لشيوع استعماله بلفظه الدخيل من جهة أخرى.

([1])- ينظر: بوشعيب بن مسعود راغين. خصائص البنية الحوارية في محاورة موسى لفرعون وأسسها الحجاجية، مجلة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ع:116، نوفمبر 2018، ص:169.

والاستراتيجية مصطلح ينتمي إلى المجال العسكري وهي " علم وفن ينصرفان إلى الخطط والوسائل التي تعالج الوضع الكلي للصراع ... من أجل تحقيق هدف السياسة"[1]. فالاستراتيجية تتعلق بإعداد الخطط ذات الأهمية، وهي تستعمل في العادة مع قسيمه المكمل "تكتيك" وهي تعني تفاصيل تلك الخطط الجزئية

إذا كان مصطلح الاستراتيجية يستعمل في مجالات كثيرة في الحياة الاجتماعية فإن مفهومها يختلف باختلاف العلوم، ففي اللسانيات التداولية قد تعرف "بوصفها محصلة لسلسلة من عمليات الاختيار واتخاذ القرار –الجارية في العادة عن وعي– التي تعلم بواسطتها خطوات الحل ووسائله لتنفيذ أهداف اتصالية"[2]. والملاحظ أن هذا التعريف يركز على العملية التواصلية في اللغة. فالاستراتيجية وفق هذا التصور تجمع بين المهمات الاتصالية المستنبطة من التفاعل والشروط الاجتماعية وأهداف شركاء الاتصال وبين الوسائل اللغوية.[3]

فالاستراتيجيات تعود إلى الأهداف المستقبلية المتوخاة من الحوار والتي ترتبط بدورها بالأنساق المعرفية واستحضار الآراء الذاتية، والوعي بالشروط السياقية. وانطلاقا من كل هذا نجد أن المتكلم يتبع هدفين رئيسيين؛ الأول مرتبط بعرض الكلام بالاختيار المناسب له، وترتيب أفكاره، وإعداد الوسائل اللغوية المناسبة. والثاني مرتبط بصنع الحديث بتطبيق المفاهيم الاستراتيجية بحيث تجعل المتلقي يتقبل الخطاب بسرعة وبمراعاة ما يناسب قدرة تقبله العقلية.[4]

([1])– ينظر: الهيثم الأيوبي وآخرون. الموسوعة العسكرية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، د.ط، 1981م، ج:1، ص:66.

([2])– فولفجالج هانيه و ديتر فنهفيجر. مدخل إلى علم اللغة النص، تر: فالح بن شبيب العجمي، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، 1999، ص:314.

([3])– المرجع نفسه، ص:314.

([4])– ينظر: المرجع نفسه، ص:314.

والمنهج التداولي يوفر إمكانية دراسة مختلف استراتيجيات الحوار من حيث الاستعمال في سياقاته المختلفة. إذ يعتمد المتكلم في حواره استراتيجيات معينة لتحقيق أهدافه من خلال أدوات وآليات تجسدها كفاءة المتكلم التداولية.

الاستراتيجية الحوارية:

إن مفهوم الاستراتيجية الحوارية من أهم المفاهيم التي ينبغي أن تتوسع في دراستها نظرية الحجاج كما دعا إلى ذلك أبو بكر العزاوي.[1] وقد قسم عبد الهادي بن ظافر الشهري استراتيجيات الخطاب وفق ثلاثة معايير عامة:[2] المعيار الأول وهو المعيار الاجتماعي أو العلاقة التحاورية بين أطراف الخطاب وتمثله استراتيجيتان؛ الاستراتيجية التضامنية والاستراتيجية التوجيهية. وأما المعيار الثاني فهو المعيار اللغوي وتمثله الاستراتيجية التلميحية. وأما المعيار الثالث هو معيار الهدف من الحوار، وتمثله الاستراتيجية الإقناعية إذ يعد الهدف الإقناعي من أهم تلك الأهداف، وتعد آلية الحجاج التي تعتمد اللغة الطبيعية من أهم طرقه.

1- الاستراتيجية التضامنية:

أما الاستراتيجية التضامنية فتعنى بالتعامل الأخلاقي أولا، وهي "الاستراتيجية التي يحاول المرسل أن يجسد بها درجة علاقته بالمرسل إليه ونوعها، وأن يعبر عن مدى احترامه لها ورغبته في المحافظة عليها، أو تصويرها بإزالة معالم الفروق بينها، وإجمالا هي محاولة التقرب من المرسل إليه، وتقريبه"[3]. ولا شك في أن العلاقة التحاورية في غاية الحوار ستكون أفضل منها في بدايته وذلك هدف حجاجي بامتياز. وتستعمل هذه الاستراتيجية عندما لا تؤثر على العلاقة التراتبية. لذلك نجد

([1])- ينظر: أبو بكر العزاوي. الخطاب والحجاج، الأحمدية للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط:1، 1427هـ - 2007م، ص:122.

([2])- ينظر: عبدالهادي بن ظافر الشهري. استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت - لبنان، ط:1، 2004، ص:249 – 545.

([3])- المرجع نفسه، ص:257.

من أهم مسوغات استعمالها تأسيس الصداقة، وتحسين صورة المحاور، وكسب الولاءات، واستعمالها في الحقول التعليمية والتربوية...[1]

2- الاستراتيجية التوجيهية:

بينما الاستراتيجية التوجيهية هي استراتيجية نابعة من علاقة سلطوية ما، واستعمالها لا يرجع إلى مميزات فردية وإنما يعود إلى مرتبة المتكلم الاجتماعية، وطبيعة علاقته بالمتلقي. ومن أهم مسوغات استعمالها؛ مناسبة السياق التفاعلي، وعدم التشابه في عدد من السمات، وحصول توجيه للمحاور..

3- الاستراتيجية التلميحية:

أما بالنسبة للاستراتيجية التلميحية فهي" الاستراتيجية التي يعبر بها المرسل عن القصد بما يغاير معنى الحوار الحرفي، لينجر بها أكثر مما يقوله. إذ يتجاوز قصده مجرد المعنى الحرفي لحوار فيعبر عنه بغير ما يقف عنده اللفظ مستثمرا في ذلك عناصر السياق". فمركزية السياق في الحوار التداولي تجعله معبرا عن القصد مهما تغير شكله اللغوي بما في ذلك اعتماد التلميح بدل التصريح. وهو حوار له مسوغاته الكثيرة؛ ومنها التأدب في الحوار، أو رغبة في التهرب من مسؤولية ما...

4- الاستراتيجية الإقناعية:

وأخيرا نقف مع الاستراتيجية الإقناعية الهدف الأساس للمحاور من الحوار إحداث تغيير في الموقف الفكري والعاطفي للمتلقي وحمله على إنجاز فعل. وهي استراتيجية مسوغاتها كثيرة منها؛ قوة تأثيرها بسبب ديموميتها. وثبات نتائجها لاعتمادها الاقتناع الداخلي دون فرض أو إكراه. واشتراك طرفي الحوار في صناعة الحجاج. وشموليته كل الفئات الاجتماعية وكل الأعمار. ونتائجه التربوية الأكيدة في المدرسة والبيت والمسجد. فاستراتيجية الإقناع سلطة جديدة ولكنها مقبولة.[2]

([1])- ينظر: عبدالهادي بن ظافر الشهري. استراتيجيات الخطاب، ص:261-263.

([2])- ينظر: المرجع نفسه، ص:370-374.

والمتكلم (المحاور) ليس ملزما باستراتيجية واحدة في الحوار الواحد، بل يمكنه أن يتوخى استراتيجيات مختلفة. كما أن الاستراتيجيات تختلف من متكلم إلى آخر وفقا لمهارة المتكلم وكفاءته التداولية. والوقوف على آليات استراتيجياته مما يوفره المنهج التداولي.

أما بالنسبة للحوار الحجاجي فهو لم يوظف استراتيجية واحدة وإنما وظف مختلف تلك الاستراتيجيات وبكفاءة تداولية. وذلك لأن في تعدد السياقات مدعاة إلى تعدد الاستراتيجيات، فالحوار الحجاجي متنوع لتنوع مشارب الناس الثقافية وإمكاناتهم النفسية والعقلية مما يتطلب هذا التعدد.[1]

وما يبرر اختيار استراتيجية أو استراتيجيات معينة من كل تلك الاستراتيجيات في كل حوار إلى جانب اختلاف السياقات؛ هدف الحوار وقصديته. وهذه القصدية عبّر عنها طه عبد الرحمن بـ(العاقلية) والتي تمثل أحد أصلي التحاور.[2] وهي شديدة الصلة باللغة لا تنفك عنها، بل جعلها أحد أهم خصائص النموذج الإيصالي للحجة. وذهب أبعد من ذلك في البرهنة على ما ذهب إليه عندما قال: "ولا عجب إذ ذاك أن نجد اللفظ العربي "حج" يفيد لغة "قصد" فتكون كل حجة (بضم الحاء) بمثابة حجة (بفتح الحاء) أي تكون قصدا". والحجاج في معنى من معانيه؛ بحث من أجل ترجيح خيار من بين خيارات متاحة ومتعددة بما يناسب السياق ويحقق المأمول.[3]

وضمن هذه الاستراتيجيات الحجاجية التي تُعطي بعدا للحوار في صورة جديدة تُحاكي المنطق الذي يدفعنا إلى التبادل والتفاعل والاهتمام الإنساني وغير ذلك. وهو ما أكد على ضرورتها طه عبد الرحمان وعلل هذه الضرورة ضمن حديثه عن العلاقة التحاورية. وذلك حينما أشار إلى مسألة الإنسانية التي ينبغي لها أن تتحقق في الحوار الحجاجي من مبدأ التخلق. وينتقل المتكلم من تحقيق مرتبة (التبادل) والذي يحققه مبدأ (التأدب) إلى تحقيق مرتبة (التفاعل) عن طريق مبدأ (التخلق). فالمتكلم والمتلقي يدفع كل منهما إلى السعي لجلب منافع عامة أو دفع مضار عامة من غير طلب

(1)- ينظر: عبدالهادي بن ظافر الشهري. استراتيجيات الخطاب، ص:245-247.

(2)- ينظر: طه عبد الرحمان. في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص:154-156.

(3)- ينظر: طه عبد الرحمن. اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص:259.

مقابل، فلا إنسانية من غير الاهتمام بالغير قبل الاهتمام بالذات. يقول طه عبد الرحمان: "ولما ثبت أن التخلق يدعو المتكلم إلى الخروج عن الأغراض والغَناء (بفتح الغين) عن الأعراض، فقد لزم أن يكون الباعث عليه تحقيق مزيد الإنسانية للمتكلم، إذ لا إنسانية بدون أن يزيد اعتبار الغير على اعتبار الذات، بحيث لا تصح نسبتها إلى المتكلم حتى يزيد أنس المحاور به، ولا يحصل للمحاوَر (المتلقي) هذا الأنس المطلوب حتى يشعر بأن المحاوِر (المخاطِب) قد تخلص في أقواله وأفعاله مما يقصر نفعه على نفسه ولا يتعداه إلى غيره، علما بأنه لا شيء أقصر نفعا من الأغراض والأعواض " [1]، ويُثبت من قوله بُعد الذات الحجاجية في تلقي المحاورة بين المتكلم والمتلقي ضمن الفاعلية الحجاجية والتي هي صفة لكل حوار طبيعي، تحقق من الاقتناع ما لا يمكن أن يحققه الاستدلال بالبرهان المنطقي وكان الحجاج ميزة استراتيجية الحوار الحجاجي. وقد ثبت أنه "لا تكون الصفة البرهانية في القول شرطا كافيا لتحصيل الاقتناع العملي الذي يهدف إليه الحجاج، فقد تستوفي برهانية الدليل ولا يحصل معها اقتناع المحاور، إذ لا شيء يمنعه من أن يستمر على اعتقاده السابق ولو دلّ على سبيل برهاني مستقيم؛ فليس كل ما يحصله النظر يتحول إلى عمل، ولا هي الصفة البرهانية تشكل شرطا ضروريا لبلوغ الاقتناع.."[2].

والحوار الحجاجي عموما يجعل من المتكلم والمتلقي في درجة واحدة، فتجعل المتلقي في مقام حوار يمكن أن يتلقى الحوار ويفكر ويرد ويناقش، فالحقيقة من صنعهما معا. وبالتالي فمن اليسير – والأمر كذلك– أن يقتنع المتلقي دون إكراه أو فرض أو قوة. فالمتكلم عندما "يطالب غيره بمشاركته اعتقاداته فإن مطالبته لا تكتسي صبغة الإكراه، ولا تدرج على منهج القمع. وإنما تتبع في تحصيل غرضها سبلا استدلالية متنوعة تجر الغير جرا إلى الاقتناع برأي المحاور. وقد تزدوج أساليب الإقناع بأساليب الإمتاع، فتكون أقدر على التأثير في اعتقاد المتلقي، وتوجيه سلوكه، لما يهبها هذا الإمتاع من قوة في استحضار الأشياء ونفوذ في إشهادها للمحاوَر، كأنه يراها رأي العين".[3]

([1])– ينظر: طه عبد الرحمن. اللسان والميزان ، ص:223–224.

([2])– ينظر: طه عبد الرحمن. في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص:65.

([3])– طه عبد الرحمن. المرجع نفسه، ص:38.

إن ما يعرفه عالمنا المعاصر من ثقافة الديمقراطية والحريات العامة وحقوق الإنسان؛ يعتمد على لغة حوارية تراعي استراتيجيات مدروسة سواء في الخطابات الدعوية أو في المقامات التربوية والتعليمية أو في الحوارات الدبلوماسية أو في النقاشات السياسية أو في الحياة اليومية وفي كل مرافق الحياة استراتيجيات تحقق في النهاية هدف الحوار. وعالمنا المعاصر يعج أيضا بسياقات مختلفة لها الدور الأساس في فهم الخطاب الحديثي والبحث في سبل جعله مناسبا لاحتياجات المتلقي وملبيا لرغباته. ولذلك صار من الضروري اكتشاف استراتيجيات الحوار بشكل عام، واستراتيجية الحوار الحجاجي بشكل خاص. كل ذلك يمكننا من الوقوف على أسرار القوة التأثيرية والإقناعية للبنية الحجاجية، والوقوف أيضا على طبيعة العلاقة التحاورية بين الحوار الحجاجي ومتلقيه بما يواكب متطلبات السياقات المستجدة في كل زمان.

المبحث الثالث: حجاجية الحوار في الخطاب القرآني

جاء الإسلام من خلال القرآن ليكون دين الحوار الذي يُطلق العنان للعقل أن يفكر ويحاور الآخرين على أساس الحجّة والبرهان، إذ انفتح المسلمون على العالم من خلال ممارسة قواعد الحوار التي علمهم إيّاها القرآن.

إن القرآن الكريم "كتاب حوار مفتوح لا حدود لأبعاده وآفاقه. إذ تبادل هذا الحوار مع أصناف من خلق الله تعالى: مؤمنين ومشركين ومنافقين وأهل الكتاب وغيرهم، بدء من الملائكة والأنبياء عليهم السلام إلى إبليس. من هنا فالقرآن الكريم خطاب لغوي ذو طبيعة حوارية أو تحاورية واضحة المعالم، واشتمل على معجم حواري غني (حوار، تحاور، جدال، مجادلة، حجاج، شورى، مشاورة وتشاور...). بل نجد فيه كذلك الحوار النفسي الداخلي (مثال حوار إبراهيم مع نفسه في معرض بحثه القلق عن إله (الشمس، القمر، الله).[1]

وقد وردت كلمة "حوار" في القرآن الكريم في ثلاث آيات مرتان في سورة الكهف : "**وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا**"[2]، و في الموضع الثاني: "**قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلً** "[3] ، ومرة واحدة في سورة المجادلة : "**قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ** "[4].

غير أن الخطاب القرآني غني بمشاهد حوارية متعددة صريحة ومضمرة وبحوارات مباشرة وغير مباشرة دارت حول موضوعات متنوعة وسلكت مناهج محددة واتسمت بخصائص معينة. فليس "من قبيل الصدفة أن يغطي الحوار مساحات كبيرة من كتاب الله تعالى، وهذه من خصائصه الإعجازية

([1])- محمد حسين فضل الله. الحوار في القرآن قواعده أساليبه معطياته، دار الملاك للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط:1، 1417هـ-1996م، ص:16.

([2])- سورة الكهف: الآية 34.

([3])- سورة الكهف: الآية 37.

([4])- سورة المجادلة: الآية 01.

لأنه نزل في مرحلة من مراحل التاريخ البشري حيث التعصبات الفاحشة، والتطاحنات القبلية، والحَميات الجاهلية التي لا تعرف شيئا اسمه الحوار مع الآخر، وحماية حقه في التعبير عن رأيه خصوصا إذا كان هذا الآخر مخالفا غير مؤالف. ويعتبر الحوار من أهم أشكال التفاعل الخطابي. وهو المجال الطبيعي والحقيقي للحجاج، ففيه يُواجَه بين المواقف والآراء، وتعرض الحجج والحجج المضادة. ويلعب الحجاج في الخطابات الحوارية دورا توجيهيا في تسلسل الأقوال وفي ضمان الانسجام cohérence بين وحدات الخطاب وفقراته. وقد تنبه العديد من اللسانيين إلى العلاقة الوثيقة القائمة بين الحجاج والحوار [1].

1- مرتكزات الحجاج في الحوار القرآني:

إن منهاج الحوار القرآني في دعوته قائم على الحجة، إذ أنه يرتكز وبشكل أساسي على "الحكمة والموعظة الحسنة و الجدل بالتي هي أحسن"[2].

أ- الحكمة: اعتمد جانب الحكمة الحوار الهادئ في الدعوة الإسلامية ، وغايته رد العقل إلى التفكير المنظم الهادئ و إسقاط موقف الخصم وإدحاض ما جاء به، لقوله تعالى: "**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۗ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ**"[3] فبالحجة حرك الحوار منهم العقل للفكر والتدبر.

ب- الموعظة الحسنة: ارتكز هذا الجانب على التذكير و ضرب الأمثال التي تعتبر من أنجع الطرق التربوية التي يعمد فيها الحوار إلى تحريك القلب وعاطفة بهدف الوصول إلى العقل والجوارح، بالقدوة الصالحة، واستخدام "**الأمثال**" لضمان وصول الخطاب البليغ ومن أمثلتها داخل الحوار القرآني "**كمثل**"، "**ضرب الله مثلا**" ، لقوله تعالى: "**وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ**

(1)- ينظر: بوشعيب بن مسعود راغين. خصائص البنية الحوارية في محاورة موسى لفرعون وأسسها الحجاجية، ص:170.

(2)- ينظر: بكوش جميلة. حجاجية اللغة في الحوار القرآني، مجلة فصل الخطاب، جامعة ابن خلدون-تيارت، الجزائر، ع:2، 30 أفريل 2013، ص:193.

(3)- سورة البقرة: الآية 170.

قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ"[1]،إذ أن ضرب الأمثال هو من الأمثلة العقلية التي لها تأثير مباشر في روح المتلقي لأن:" المثل هو استقراء بلاغي، والمثل حجة تقوم على المشابهة بين حالتين في مقدمتها، ويراد استنتاج نهاية إحداها بالنظر إلى نهاية مماثلتها"[2].

ج- الجدل بالتي هي أحسن: تمحور على إيراد الأدلة الدامغة و المجابهة بها[3] ، وإذا كان الحوار طريقا من طرق الدعوة، فإنه قد يؤول في بعض صوره إلى الاعتماد على الحجة والدليل، فأساس الحجاج الارتكاز على دليل معين قصد إثبات قضية من القضايا، وبالتالي بناء موقف ما "ولعل أهم شيء تتأسس عليه دلالة "الحجاج" هو وجود اختلاف بين المرسل للرسالة اللغوية والمتلقي لها، ومحاولة الأول إقناع الثاني بوجهة نظره، بتقديم الحجة والدليل على ذلك"[4] و عليه "فالحجة والدليل واحد"[5].

إذ نلاحظ أن الترسيمة الحجاجية للحوار مع المؤمنين والكافرين عموما في القرآن الكريم لا تخرج عن البنية المعرفية التالية[6]:

([1])- سورة التحريم: الآية 11.

([2])- محمد العمري. في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، الخطاب في القرن الأول نموذجا، إفريقيا الشرق، المغرب، بيروت، لبنان، ط:2، 2002م، ص:82.

([3])- ينظر: تمام حسن. البيان في روائع القرآن، دراسة لغوية وأسلوبية في النص القرآني، عالم الكتب، القاهرة، ط:1، 1993م، ص:441.

([4])- عبد الحليم بن عيسى. البيان الحجاجي في إعجاز القرآن الكريم "سورة الأنبياء نموذجا"، مجلة التراث العربي، إتحاد الكتاب العرب دمشق، العدد 102، نيسان 2006، ربيع الثاني 1427، ص:35.

([5])- الشريف الجرجاني. التعريفات، تحقيق: نصر الدين تونسي، شركة ابن باديس للكتاب، الجزائر، ط:1، 2009م، ص:482.

([6])- عبد الرحمان محمد طعمة. البعد التداولي للنسق الحواري في القرآن الكريم: مقاربة معرفية حجاجية، قرأنيكا: مجلة عالمية لبحوث القرآن الكريم، ع:1، يونيو-حزيران 2018م، ص:97.

- **مع الكافرين: (نماذج من سورة البقرة)**

أ- الطلب: "وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ..."[1]

ب- المنح: "فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ"[2]

ج- الغدر: "ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ"[3]

د- العقاب: "ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ"[4]

- **مع المؤمنين: (نماذج من سورة آل عمران)**

أ- الطلب: "رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ"[5]

ب- المنح: "فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ..."[6]

ج- الوفاء: "الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ..."[7]

د- الثواب: "لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ..."[8]

([1])- سورة البقرة: الآية 61.

([2])- سورة البقرة: الآية 61.

([3])- سورة البقرة: الآية 64.

([4])- سورة البقرة: الآية 112.

([5])- سورة آل عمران: الآية 194.

([6])- سورة آل عمران: الآية 195.

([7])- سورة آل عمران: الآية 198.

([8])- سورة آل عمران: الآية 198.

وقد أتت نمطية المناظرة ضمن النسق الحواري العام في الكتاب العزيز موافقة لعادة العرب في تخاطبهم، ولخصوصية لسانهم، واستوفى المولى تبارك وتعالى في التراكيب اللغوية والصور البيانية المستعملة لغرض الإقناع كل الأشكال اللسانية الممكنة، التي نعرفها، والتي لا نزال نستكشفها، بقدر ما أمكن لنا من فهم لكتاب الحق سبحانه؛ يقول الإمام الزركشي في نص مؤسس لقاعدة معرفية تداولية حول هذه المسألة الجوهرية:...فالمائل إلى دقيق المحاجة هو العاجز عن إقامة الحجة بالجليل من الكلام، فإن من استطاع أن يفهم بالأوضح الذي يفهمه الأكثرون لم ينحط إلى الأغمض الذي لا يعرفه إلا الأقلون، ولم يكن ملغزا؛ فأخرج تعالى مخاطباته في محاجة خلقه في أكل صورة، تشتمل على أدق دقيق؛ لتفهم العامة من جليلها ما يقنعهم ويلزمهم الحجة، وتفهم الخواص من أثنائها ما يوفي على ما أدركه فهم الخطباء.[1]"

2- الأبعاد الحجاجية في الحوار القرآني:

إن الرجوع إلى تعريف لفظة حجاج ومحاجة (Argumentation) عند بيرلمان وتيتيكا يجرنا إلى الحديث عن وظيفة الحجاج وآلياته وما ترتكز عليه هذه الآليات في أبعادها التأثيرية على المتلقي.

وإذا علما أن وظيفة الحجاج "ترتد إلى طرح الحجج التي تضمن النفاذية للخطاب اللغوي، وبالتالي حصول الاقتناع الفعلي بالقضية المطروحة، وهذا يعني توظيف الآليات التي تجتاز الاعتقاد الأولي نحو التغيير، وبناء الموقف المغاير "[2]، فإنه لا بد لهذا الحجاج أن يكون مبنيا على المؤشرات اللغوية والأدوات الحجاجية حتى يبلغ الخطاب آفاقه.

"والقرآن الكريم خطاب حجاجي حواري موجه في الأساس للتأثير على آراء المخاطب وسلوكاته، واستحالة العقول، وتوجيه النفوس، حيث وظف الكثير من الأساليب الحجاجية التي تؤمن له الغايات"[3]، فإنه لا يختلف اثنان أن القرآن الكريم قد حوى ضالة كل باحث عن أساليب التعبير،

(1)- ينظر: عبد الرحمان محمد طعمة. البعد التداولي للنسق الحواري في القرآن الكريم: مقاربة معرفية حجاجية، ص:98.

(2)- عبد الحليم عيسى، البيان الحجاجي في إعجاز القرآن الكريم "سورة الأنبياء نموذجا"، ص:35.

(3)- المرجع نفسه ، ص:01.

لأنه جمع فنون القول وأبلغها، استهوت بأساليبها أعداءه قبل غيرهم، وتركتهم في حيرة من أمرهم، يتساءلون عن مصدرها، وهي من لدن حكيم خبير[1].

لقد جاء الحوار القرآني حاملا لمختلف الحجج قصد تغيير سلوك أو إذعان، لأن هذا البعد الحواري في التواصل يقتضي الآخر بالضرورة إذ لا يمكن أن نبلغ (أو نقنع) شيئا ما دون وجود الآخر، ولا يكون هذا الآخر فقط مستقبلا أو سامعا محايدا بل يكون فاعلا أي سائلا ومجيبا في الآن نفسه [2]، قال تعالى : " **مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ 113 وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ**"[3]، "فكأن الآية الثانية جاءت ردا على سؤال سائل يقول: لماذا استغفر إبراهيم لأبيه وهو كافر؟ الجواب: أنه وعده بقوله: "...**سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي**..."، أو إن قلت: كيف خفي على إبراهيم أن الاستغفار للكافر غير جائز حتى وعده؟ قلت: يجوز أن يظن أنه مادام يرجى منه الإيمان جاز الاستغفار له على أن امتناع جواز الاستغفار للكافر إنما عُلم بالوحي، لأن العقل يجوز أن يغفر الله للكافر، وهذه كلها مبادئ حجاجية تضمن الربط بين الحجة والنتيجة ، لأن القول المقدم من طرف المتكلم (بشكل من الأشكال) – ويسمى الحوار الإشكالي– هو موجه نحو مستمع هو نفسه يحمل تساؤلات في ذهنه وحين يستقبل القول تتفاعل تساؤلاته مع تساؤلات وإجابات المتكلم ، وهو ما ذهب إليه الجاحظ في قوله: المفهم لك والمتفهم عنك شريكان في الفضل ، وهذا ما يقابله في النظريات الحجاجية الحديثة من أن المبادئ الحجاجية هي قواعد عامة تجعل حجاجا خاصا ما ممكنا"[4].

([1])– بكوش جميلة. حجاجية اللغة في الحوار القرآني، ص:197.

([2])– عبد السلام عشير. عندما نتواصل نغيّر – مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، د.ط، 2006م، ص:35.

([3])– سورة التوبة: الآيتين 113–114.

([4])– بكوش جميلة. حجاجية اللغة في الحوار القرآني، ص:197.

فالتساؤل الإشكالي في هذا الحوار القرآني وغيرها "قد لا يكون موجها للمجيب الحقيقي (الداخل مع السائل في الحوار) بل قد يكون المجيب هو نفسه السائل أو الآخر المفترض داخل السياق العام للحوار، والإجابة الإشكالية قد تتجه نحو سائل آخر مفترض، أو تعبر عن تساؤلات أخرى دون أن تعالج التساؤل الأول، وهنا تكمن حقيقة الحوار ويتجلى أساس الحوار الناجح الذي يقبل كل التأويلات الممكنة"[1] ، ذلك المحاوَر القرآني يبقى متجددا دائما لأن للقرآن متلق يتفاعل مع مضامين الآيات في حوار مفتوح.

يبدو مما سبق أن العملية الحجاجية عملية جدلية تنطلق مع أطروحة أو ضدها، وتتجه للإفحام أو الإقناع، ويتحرك الحجاج داخل بنية حوارية، يتعدد فيها المخاطب كميا، ويتنوع كيفيا، ليتحقق في بنية تواصلية أحادية. من الخطيب إلى المتلقي"[2]، مرتكزة على سلم حجاجي وروابط حجاجية تؤدي وظيفتها الإقناعية واللغوية داخل الخطاب الحواري.

3- إعجازية الحجة في الحوار القرآني:

إن الوجود الحقيقي للغة هو وجود حواري، وتتميز لغة القرآن بحجتها التي تقترن بها دائما، مما يكسبها خاصية الإعجاز، في حوارها مع الآخر، إذ أكد القرآن في أكثر من موضع على الحجة البالغة التي أقامها على العباد في قضية الإيمان والكفر انطلاقا من هذه المحاورة، قال تعالى: **"قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ۖ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ"**[3] ، فدعا المؤمنين إلى ضرورة التصدي بالحجة وتحصيل الإقناع المرتكز على البرهان والأدلة التي لا تناقض العقل، فيكون بها الظفر عند الخصومة والنزاع، مثلما يكون بها التواصل عند التحاور والجدال بهدف الوصول إلى الحق.[4]

([1])- عبد السلام عشير. عندما نتواصل نغيّر، ص:201.

([2])- محمد طروس. النظريات الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية اللسانية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط:1، 1426هـ-2005م، ص:55.

([3])- سورة الأنعام: الآية 149.

([4])- ينظر: آمنة بلعلى. الإقناع المنهجي الأمثل للتواصل والحوار (نماذج من القرآن و الحديث)، مجلة التراث العربي، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، ع:89، آذار-مارس 2003، ص:206.

وتماشيا مع ما تم ذكره فالحجاج "آلية حوارية تداولية تنظيمية، تدير الخلاف، في إطار تناوب حواري تعاوني، تخضع فيه الحجج للنشاط الكلي للفعل اللغوي[1]، القائم على علاقة إقناعية بين المحاوِر والمحاوَر، وفي الآتي موقف سحرة فرعون في تحديهم لموسى ، قال تعالى: " **قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ 65 قَالَ بَلْ أَلْقُوا ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ 66 فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَىٰ 67 قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ 68 وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى**"[2]، فحين ألقى موسى عصاه ابتلعت سحرهم، حينها شاهد السحرة الحجة الدامغة والدليل القاطع ، واقتنعوا بالحق ورضخوا للأمر الواقع و سلّموا أنّ موسى رسول من رب العالمين فقال تعالى: " **فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ**"[3]، فالخطاب القرآني اعتمد على الحجة العقلية والمنطقية التي تعتمد على حواس الإنسان وهي نفسها التي أقنعت سحرة موسى، فإذا ما استشهدنا به هو " أننا أمام فعالية خطابية تتوفر بالفعل وبالضرورة على أسس التحاور الاستدلالية بمختلف صورها التي ورد بها النص القرآني لعل أهمها الصور الحجاجية التي يمكن أن نتعامل بها في مختلف مجالات التثاقف العامة التي تيسر التواصل الإنساني، كما تؤدي إلى الإقناع الذي يفرض المشاركة بين الطرفين المتحاورين دون إكراه، وقد تطال اعتقاد المقتنع فيلتزم بما يعتقد به محاوره إذا اقتنع برأيه واعتقد بصحة الدليل القائم على هذا الرأي[4].

بالنظر الفاحص لما سبق نرى أن القرآن الكريم إذن هو خطاب حواري، فيه تتحاور الذوات وتتجادل وتتخاصم، ويحاج بعضها بعضا. وهو أيضا حواري يتميز بأنه يقدم نفسه بوصفه "تغييرا لوضع" و"حلا لمعضلة" حارت لأجل حلها العقول، وهو نبذ للعنف، "ومن خلال الأمثلة السابقة للحوار الحجاجي في الخطاب القرآني، ندرك التنوع في أساليب الدعوة بين ترغيب وترهيب، وتبشير

(1)- محمد طروس. النظريات الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية اللسانية، ص:169.

(2)- سورة طه: الآيات 65-69.

(3)- سورة طه: الآية 70.

(4)- ينظر: آمنة بلعلى. الإقناع المنهجي الأمثل للتواصل والحوار (نماذج من القرآن و الحديث)، ص:207.

وتخويف، وعرض الخوارق الحية والأدلة العقلية، وكذا اختلاف مستويات التلقي، مما يؤكد الصفة الحجاجية للخطاب القرآني، الذي لا يخرج عن كونه خطابا إقناعيا هدفه التأثير على اعتقادات المخاطبين وسلوكاتهم كنتيجة ملموسة للحجاج الذي يتمثل في إنجاز متواليات من الأقوال بعضها هو بمثابة الحجج اللغوية، وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها".[1]

باعتبار التداولية التي لها ركن شريف في ملامح الحجاج الذي يسلك طريق المخاطِب لكسب ولاء المتلقي ويقنعه لمضمون رسالته كون لغته "...تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية"[2]، فلا شك أن هذه اللغة ترتكز على آليات دقيقة ومضبوطة تؤدي الغرض المراد الوصول إليه، وهي "الأفعال اللغوية أو الأساليب الإنشائية كما يسميها البلاغيون والتي تعد إحدى مكونات الحوار أو الخطاب الأساسية"[3]، التي تجعل لغة الخطاب القرآني تتميز عن غيرها بديمومة تأثيرها الإقناعي والبلاغي بجميع صوره وأشكاله وهذا يتجلى بتحقق هدفه القريب و البعيد في تلك الحوارات الملازمة للخطاب القرآني –بطبيعته الحوارية الحجاجية– الذي يبقى الأسلوب الأمثل والأمتع في لإقناع.

تبقى حجاجية الحوار كصفة جوهرية للخطابات القرآنية الملازمة في تأثير على أبعاد ذاتية المتلقّي بالرجوع إلى سلطة المحاورة وفق ما يقتضيه ديننا الحنيف وتطبيقها في أرض الواقع، أمّا بالاستناد إلى مبادئ الحجاج التي ركنها واحد من أجل معرفة كل الخطابات الحجاجية الموجودة في قرآننا الشريف وأخذها على أوسع نطاق بغية التعلّم والإرشاد والوعض.

(1)– ينظر: بكوش جميلة. حجاجية اللغة في الحوار القرآني، ص: 202.

(2)– أبو بكر العزاوي. الخطاب والحجاج، ص:14.

(3)– المرجع نفسه، ص:54.

الفصل الثالث:

حجاجية حوار الأنبياء في سورة البقرة

المبحث الأول: أهم الحوارات التي جاءت في سورة البقرة

المبحث الثاني: الآليات الحجاجية في حوارات الأنبياء في سورة البقرة

تمهيد

سنحاول في هذا الفصل التطرق إلى الجانب التطبيقي من حجاجية حوار الأنبياء وذلك من خلال بيان إعجازية الحجة التي جاء بيها الأنبياء في حواراتهم القرآنية، فالقرآن الكريم حافل بحوارات الأنبياء، حيث -إنهم عليهم السلام- دعوا أقوامهم وحاجوهم بالتي هي أحسن وبالأدلة العقلية والمنطقية، فنجد كثيرا من حوارات أنبياء الله في سورة البقرة —والتي ارتأينا فيها النموذج الأمثل لدراستنا التطبيقية- فهي من أعظم السور التي وردت في القرآن الكريم.

المبحث الأول: أهم الحوارات التي جاءت في سورة البقرة

1- التعريف بسورة البقرة:

سورة البقرة من أعظم السور التي وردت في القرآن الكريم وفيها العديد من الحكم والمواعظ للناس فهي تحتوي العديد من قصص الأنبياء كقصة آدم عليه السلام كذلك تحتوي على كثير من حوارات الأنبياء، ولسورة البقرة شأن عظيم و منزلة عظيمة إذ تحمل في طياتها العديد من الحجج المقنعة، الموجهة إلى الكافرين من أجل الإيمان بوحدانية الأحد، والدخول في الدين الإسلامي الحنيف.

تعد سورة البقرة أطول سورة في القرآن الكريم وهي السورة الثانية من حيث الترتيب في المصحف الشريف وهي مدنية وأول سورة نزلت بالمدينة عدد آياتها 286 آية.

سُميت السورة الكريمة بـ "سورة البقرة" إحياء لذكرى تلك المعجزة الباهرة التي ظهرت في زمن موسى الكليم عليه السلام، حيث قتل شخص من بني إسرائيل و لم يعرفوا قاتله فعرضوا الأمر على موسى لعله يعرف القاتل، فأوحى الله إليه أن يأمرهم بذبح بقرة و أن يضربوا الميت بجزء منها فيحيا بإذن الله و يخبرهم عن القاتل و تكون برهانا على قدرة الله عز وجل في إحياء الخلق بعد الموت.[1] ومن أسماءها:

(1)- ينظر: عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ابن كثير القريشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم ، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط:2، 1987م ، ج:1 ص:112.

الفسطاط: وذلك لعظمها وكثرة مواعظها [1]، ولما جمع فيها من الأحكام التي لم تذكر في غيرها [2]

السنام: وسنام كل شيء أعلاه[3]، "وسنام القرآن سورة البقرة، إما لطولها واحتوائها على أحكام كثيرة، أو لما فيها من الأمر بالجهاد، وبه الرفعة الكبيرة"[4].

الزهراء: تسمى أيضا الزهراء، ففي الصحيح عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: **"اقْرَؤُوا القُرْآنَ فإنَّه يَأْتِي يَومَ القِيامَةِ شَفِيعًا لأَصْحابِهِ، اقْرَؤُوا الزَّهْراوَيْنِ البَقَرَةَ، وسُورَةَ آلِ عِمْرانَ، فإنَّهُما تَأْتِيانِ يَومَ القِيامَةِ كَأنَّهُما غَمامَتانِ، أوْ كَأنَّهُما غَيايَتانِ، أوْ كَأنَّهُما فِرْقانِ مِن طَيْرٍ صَوافَّ، تُحاجَّانِ عن أصْحابِهِما، اقْرَؤُوا سُورَةَ البَقَرَةِ، فإنَّ أخْذَها بَرَكَةٌ، وتَرْكَها حَسْرَةٌ، ولا تَسْتَطِيعُها البَطَلَةُ "**[5]، ونجد أصل الزهر هو الحسن والضياء والصفاء والزهرة: النجم المعروف، والأزهر: القمر، وزهرت النار: بمعنى أضاءت [6].

فضل سورة البقرة:

لسورة البقرة فضائل كثيرة وردت في القرآن والسنة منها

- سورة البقرة فيها أعظم آية في القرآن وهي آية الكرسي، قال تعالى:

([1])- ينظر: الامام القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1967م، ص: 152.

([2])- ينظر :جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، دار الندوة الجديدة، بيروت، لبنان، د.ط، ج:1، ص: 50.

([3])- المرجع نفسه: ص:50.

([4])- أبو العلي محمد بن عبد الرحمان، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترميذي المباركفوري، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ط2، 1406م - 1986م، ج:2، ص181.

([5])- مسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب صلاة المسافرين، رقم: (804، 805) بيت الأفكار الدولية، الرياض، د.ط، 1419م- 1998م.

([6])- ابن فارس، معجم المقاييس في اللغة، تح: شهاب الدين أبو عمروا، دار الفكر، بيروت، ط:1، 1415هـ - 1995م، ص 462.

"اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ"(1)

- الحافظة والكافية من شياطين الأنس والجن لمن قرأها ودليل ذلك:

سورة البقرة وآياتها تطرد الشياطين من البيوت عند سماعها لأن وقعها عليهم شديداً ودليل ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنْ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ"(2).

لقد ذكر ابن كثير في كتابه " البقرة مشتملة على ألف خبر، وألف أمر، وألف نهي، وقال العادُّون: آياتها مائتان وثمانون وسبع آيات، وكلماتها ستة آلاف كلمة ومائتان وإحدى وعشرون كلمة، وحروفها خمسة وعشرون ألفاً وخمسمائة حرف"(3).

تشتمل سورة البقرة على أغراض متنوعة؛ قال ابن عاشور: " ومعظم أغراضها ينقسم إلى قسمين: قسم يثبت سموَّ هذا الدين الدين و علو هديه ة أصول تطهير النفوس، وقسم بين شرائع هذا الدين لأتباعه وإصلاح مجتمعهم"(4)

(1)- سورة البقرة: الآية 255.

(2)- -محمد حسين سلامة، الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، دار الأفاق العربية، دط، دت، ص: 17.

(3)- ينظر: محمد الطاهر ابن عاشور. تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، د.ط، 1984م، ج:1، ص: 202.

(4)- المرجع نفسه، ص:203.

2- أهم الحوارات المذكورة في سورة البقرة:

أ- حوار الله مع الملائكة:

قال الله تعالى: **"وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ (30) وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (31) قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (32) قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ"**[1]

في هذه الآية حوار الله تعالى مع الملائكة فيما يتعلق بخلق آدم عليه السلام وتعليمه أسماء الأشياء واتخاذه خليفة في الأرض فيبين الله أنه جعل فيها قوما يخلف بعضهم بعضا في عمارتها، فتساءلت الملائكة في أين تكمن الحكمة في خلق هؤلاء مع أن من شأنهم الإفساد في الأرض وإراقة الدماء، فجاء رد الله تعالى المطلق قائلا: "" **قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**"، أي إنه يعلم مالا يعلمون من المصلحة الراجحة في خلقهم، ثم بعد سؤال الله لهم عن الأسماء التي علّم آدم إياها وعجزهم عن معرفتها، أكد لهم الله أنه يعلم الغيب وما يظهرون وما يخفون.[2]

ب- حوار الله مع بني إسرائيل:

قال الله تعالى: **" وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (91) وَلَقَدْ جَاءَكُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ (92) وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ**

([1])- البقرة: الآيات: 30-33.

([2])- ينظر: صالح بن عبد العزيز بن محمد آل شيخ وآخرون. التفسير الميسّر، مجمّع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنوّرة، 1430هـ-2009م، ط:2، ج:1، ص:06.

وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا ۖ قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (93) قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (94)"[1]

قَبُح ما اختاره بنوا إسرائيل لأنفسهم إذ استبدلوا الكفر بالإيمان، فبعد ادعائهم إيمانهم بأنبيائهم وتحريفهم للتوراة، كذّبوا بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلّم، فلو كانوا يؤمنون حقا لآمنوا بالقرآن الذي صدّق ما جاء به أنبيائهم، فقد جاءهم موسى بمعجزات واضحات، ونقضوا العهد الذي أخذوه للإيمان بموسى عليه السلام. وبعد زعمهم أنهم أولياء الله من دون الناس والجنة خاصّة بهم، قل –أيها الرسول– إن كان الأمر كذلك فادعوا على الكاذبين منكم بالموت إن كنتم صادقين.[2]

(1)– البقرة: الآيات: 91–94.

(2)– ينظر: صالح بن عبد العزيز بن محمد آل شيخ وآخرون. التفسير الميسّر، ج:1، ص:14–15.

المبحث الثاني: الآليات الحجاجية في حوارات الأنبياء في سورة البقرة

الحوار القرآني هو خطاب حجاجي كونه جاء ردا على خطابات تعتمد على مناهج وعقائد فاسدة، وحوارات الأنبياء في سورة البقرة هي من هذا القبيل، لأنها خطابات تزخر باللغة الحجاجية بفضل تعدد موضوعاتها وتنوع المحاورين فيها، ولبيان ذلك سيتم الاعتماد على مجموعة من الآليات الحجاجية المختلفة للكشف عن الاستراتيجيات الحجاجية في حوارات السورة وكيفية توظيفها للتأثير على المخاطَبين وجعلهم يقتنعون بهذا الخطاب ويجسدونه في مواقفهم وسلوكاتهم، وفي هذا المبحث سنحاول تسليط الضوء على مختلف هذه الآليات والاستراتيجيات.

1- حوارات موسى عليه السلام مع قومه (بنو إسرائيل):

إن محور بني إسرائيل من أهم محاور سورة البقرة، والذي يمتد طوليا عبر آياتها ليشكل حجاجا بين لله وبني إسرائيل، وبين موسى عليه السلام وبني إسرائيل من ناحية أخرى، والملاحظ أنه حتى اسم السورة جاء متماشيا مع هذا الخط نسبة لقصة بقرة بني إسرائيل، جاءت بداية الخطاب مع بني إسرائيل عقب الانتهاء من قصة آدم عليه السلام وهبوطه على الأرض. ومن الآيات التي حاور فيها موسى بني إسرائيل:

قال تعالى: " **وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**"[1]

ويتضح من سياق الآية أنّ الغرض من نداء نبي الله موسى – عليه السلام – لقومه (يا قوم) هو نصحهم وإرشادهم بالتّوبة إلى الله وشكره على نعمة إعطائهم الفرصة للتوبة من بعد ما ظلموا أنفسهم باتخاذهم العجل إلها يعبدونه من دون الله، والظلم هنا هو الجناية والمعصية لأنهم أشركوا والشرك هو ظلم عظيم و سبب في الأمر بالتوبة، وعلى إثر هذا جاء الرابط الحجاجي "الفاء" لقوله

(1)- سورة البقرة: الآية 54.

تعالى " **فَتُوبُوا**" لتفريع الأمر على الخبر، وتلى ذلك نفس الرابط الحجاجي –الفاء– " **فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ**" كتتمة للقول، والفاء هنا ظاهرة في أن قتلهم أنفسهم بيانهم للتوبة المشروعة له فتكون الفاء هنا تفيد الترتيب والتعقيب وجعل التوبة شاملة لأقوال وأعمال آخرها قتل أنفسهم.[1]

وقوله "**فَتَابَ عَلَيْكُمْ**" ظاهر في أنه من كلام الله تعالى عند تذكيرهم بالنعمة وهو محل التذكير من قوله: " **وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ**" فالماضي مستعمل في بابه من الإخبار وقد جاء على طريقة الالتفات لأن المقام للمتكلم فعُدل عنه، وبالحديث عن فاء هنا إشارة إلى تعقيب جرمهم بتوبته تعالى عليهم وعدم تأخيرها إلى ما بعد استئصال جميع الذين عبدوا العجل، وفي ذلك رحمة عظيمة بهم إذ حصلوا العفو على ذنب عظيم.[2]

ويمكن أن نمثل هذا التسلسل في هذه الأفعال في السلم الحجاجي:

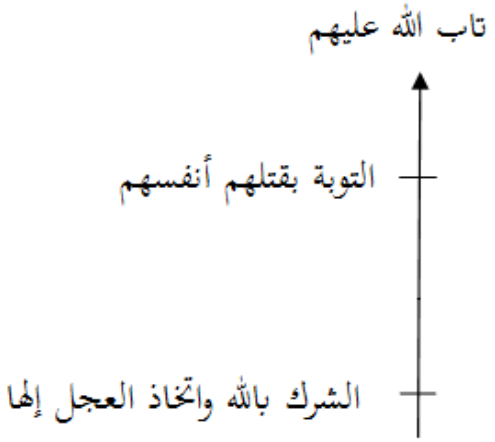

قال تعالى: "**وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ۚ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ**

(1)– محمد الطاهر ابن عاشور. تفسير التحرير والتنوير، ج:1، ص: 504.

(2)– المرجع نفسه، ص505.

اللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ"[1]

هو من كلام نبي الله موسى وقيل هو من كلام الله وهو توبيخ شديد لأنه جرّده عن المقنعات وعن الزّجر، واقتصر على الاستفهام المقصود منه التعجّب فالتوبيخ.[2] فقد تعجّب من طلبهم ووبّخهم عليه إذ كيف لعاقل أن يفعل مثلما فعلوا حين طلبوا استبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير من الطعام الذي خصّهم الله تعالى وأكرمهم به، وهنا نلمس قاعدة التشكيك التي هي احدى قواعد مبدأ التأدب التداولي، فهي تقضي أن يتجنّب المتكلّم في خطابه أساليب التقرير ويأخذ بأساليب الاستفهام البلاغي كما لو كان متشكّكا " **أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ**" في مقاصده بحيث يترك للمخاطب مبادرة اتّخاذ قراراته بنفسه،[3] وكان لبني إسرائيل ما طلبوا " **اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ**" هنا نجد "الفاء" مقترنة مع الرابط الحجاجي "إنَّ" حيث إن الفاء تفيد العطف و "إنَّ" لإرادة التعليل والربط بين الجملتين المتعاطفتين بأكثر من معنى التعقيب، والترتيب. وعليه نستنتج أن مواقع التعليل هي التي يكون فيها معناه بين مضمون الجملتين[4].

قال تعالى: "**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (67) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ (68) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ (69) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ (70) قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ**

([1])- سورة البقرة: الآية 61.

([2])- ينظر: ابن عاشور. تفسير التحرير والتنوير، ص:523.

([3])- تومي عيسى. الاستلزام الحواري في الخطاب القرآني –مقاربة تداولية في آيات من سورة البقرة، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، المركز الجامعي لتمنراست، الجزائر، 2019م، ع:1، ص:53.

([4])- ينظر: ابن عاشور. تفسير التحرير والتنوير، ص:525.

الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ"[1]

تعرضت هذه الآية لقصّة من قصص بني إسرائيل ظهر فيها من قلة التوقير لنبيهم ومن الإعنات في المسألة والإلحاح فيها، إمّا للتقصي من الامتثال وإما لبعد أفهامهم عن مقصد الشارع، والملاحظ من سياق الآية مخاطبة موسى لقومه بأن يذبحوا بقرة امتثالا لأمر الله تعالى مكان ذلك ردّا على سؤالهم المتعلّق بمعرفة قاتل الشيخ، إذ كان بين بني إسرائيل شيخ غني وله بنو أخ همّوا بقتله ليلا ليرثوه وطرحوه في مجمع الطرق واختصم فيه الناس، فجاء ابن أخيه شاكيا أمر عمه لموسى عليه السلام فسأل موسى ربّه في ذلك، فأوحى الله لنبيّه أن يأمر بني إسرائيل بذبح بقرة فعجبوا من هذا الأمر لمخالفته ظاهر الطلب[2]، وقيل إن أول هذه القصة هو المذكور بقوله تعالى: **"وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا**..." وإن قول موسى: "إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً" ناشئ عن قتل النفس المذكورة، وأخذهم لقول موسى عليه السلام بمحمل السخرية في تلقي التشريع الإلهي، فاستخفوا بالأمر[3]، إذ قالوا : **" أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا"** بمعنى: "أتجعلنا مكان هزو، أو أهل هزو، أو مهزوا بنا، أو الهزو نفسه لفرط الاستهزاء من الجاهلين لأن الهزو في مثل هذا من باب الجهل والسفه، ولذلك قال موسى: **"أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ"** نافيا عن نفسه ما رُمي به على طريقة البرهان"[4]، إذ تبرأ موسى من وصفه بالجاهل باستعاذته من الجهل، وجزمه المطلق أن يكون من المستهزئين لأن ذلك لا يليق في المجامع العامة والخطابة ولاسيما مقامه كنبي ورسول، وهو مقام للتشريف بسيدنا موسى عليه السلام.

فتعجبوا من ذلك الأمر، وبالغوا في طلب تحديد البقرة بالاستفهام حالا بعد حال واستقصوا في طلب الوصف الحقيقي فلما تعينت عند أحدهم وباعها إياهم بأغلى ثمن، فذبحوها عن مضض وما

([1])- سورة البقرة: الآية 68-71.

([2])- ينظر: امحمد عرابي. البنية الحجاجية في قصة سيدنا موسى "عليه السلام"، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة السانية، وهران، الجزائر، 2008-2009م، ص:49.

([3])- ينظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص:546.

([4])- امحمد عرابي. البنية الحجاجية في قصة سيدنا موسى "عليه السلام"، ص:49-50.

كادوا يفعلون، ثم أخذو عضوا منها وضربوا به القتيل، فارتدّ حيّا ونطق باسم قاتله. وهو الذي شكاه لموسى ليموت بعد ذلك مرّة أخرى. فكانت قصّة البقرة حجّة لإثبات دعوة موسى قومه بالعودة إلى درب الإيمان وهكذا سمّيت السورة بسورة لبقرة إثباتا لقضية أساسية في الدين وهي حقيقة الإيمان بالبعث[1].

والملاحظ أن أغلب التفاسير تُشير إلى أن موسى عليه السلام كان على وعي تام بما يفعل بوحي من الله تعالى وحكمة منه، وقومه –بنو إسرائيل– الذين استقبلوا أوامر الله بالاستهزاء وعدم التصديق والاستقصاء والتماطل، بعدها رضخوا لأمر الله تعالى واضطرّوا إلى الإذعان والاتفاق مع موسى لفظا ومعنى، ولا شك أن من يسأل بغرض الجواب الصريح، ويفاجأ برد غير متوقع لا يدرك حقيقة التسليم بالرسالة والتصديق الجازم بها، لكن إرادة الله أقوى من ذلك، وهذا ما يفسّر حجاجية الوحي الإلهي.

2– حوار النبي(*) مع بني إسرائيل:

قال تعالى: " **أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا ۖ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (246) وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ۖ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (247) وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**"[2]

([1])– امحمد عرابي. البنية الحجاجية في قصة سيدنا موسى "عليه السلام"، ص:50.

(*)– أُبهم اسم هذا النبي، فقد اختلفت أقوال المفسرين في تحديده.

([2])– سورة البقرة: الآيات 246-248.

الملاحظ في هذه الآية أن بني إسرائيل طلبوا من نبيهم أن يولي عليهم ملكا، يجتمعون تحت قيادته ويقاتلون في سبيل الله " **ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ** "، وفي رد النبي عليهم جاء على شكل استفهام تقريري وتحذيري " **قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ**"، وذلك أنه قررهم على إضمارهم نية عدم القتال اختبارا وسبرا لمقدار عزمهم عليه، ولذلك جاء في الاستفهام بالنفي فقال ما يؤدي معنى "هل لا تقاتلون" ولم يقل :"هل تقاتلون"؛ لأن المستفهم عنه هو الطرف الراجح عند المستفهم، وإن كان الطرف الآخر مقدرا، وإذا خرج الاستفهام إلى معانيه المجازية كانت حاجة المتكلم إلى اختيار الطرف الراجح متأكدة، وفي ردهم " **وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**" جاءت واو العطف كرابط حجاجي متبوعة بجملة استفهامية مفادها "لماذا لا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا؟"، إذ كان في كلامهم ما يفيد إرادة أن يكون جوابهم عن كلامه معطوفا على قولهم "**ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**" ما يؤدي مثله بواو العطف فأرادوا تأكيد رغبتهم في تعيين ملك يدبر أمور القتال، وجملة " **وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا**" حسب ما يقتضيه السياق هي حال معللة لوجه الإنكار: أي إنهم في هذه الحال أبعد الناس من ترك القتال؛ لأن أسباب حب الحياة تضعف في حالة الضر والكدر بالإخراج من الديار والأبناء[1].

ثم في تتمة الآية " **وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا**" فإن النبي عند محاورته لقومه قد أنبأهم بحكمة الله المتمثّلة في جعل طالوت ملكا، حينها جاء الرد منهم على شكل استفهام بصيغة الإنكار والتعجب " **أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا**" أي تعجبوا من هذا القرار، إذ كان طالوت رجلا فلاحا من بيت حقير، وفي حديثهم حاولوا الاحتجاج بحجة أن طالوت ليس له مال ولا جاه وليس له الحق في الملك " **نَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ**" ذلك أنه في نظرهم يستلزم على الملك المال والنفوذ، فلهذا استعملوا حجتهم لتقوية جانبهم وفرض رأيهم، ولهذا فما كان من النبي سوى الرد عليهم بحجة أقوى، فكان قوله " **إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ**"، هنا استعمل النبي في محاورته حجة السلطة، أي أن الله تعالى هو صاحب القرار وأنه هو من اختاره، وتم دعم هذه الحجة بأن طالوت قد زاده الله تعالى بسطة في العلم والجسم، ومع التسلسل في هذه الحجج المتتابعة قد جاءت الحجة الأبرز والاقوى "**إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ**

(1)- ينظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج:2، ص: 486-487.

فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ" حيث أكد النبي على أحقية طالوت بالملك عبر معجزة التابوت، أي تابوت العهد، وهو التابوت الذي صنعه موسى بأمر من الله تعالى، صنعه من خشب السنط، وغشاه بذهب[1]،وقد جاء في هذا التابوت السكينة والطمأنينة من الله تثبت قلوب المخلصين "**فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ**" ، وهذه حجة وبرهان من الله جاءت على شكل معجزة للتأكيد على سلطة طالوت عليهم ولتقوية إيمانهم بالله ونبيه ذلك أنه قد ضعف إيمانهم بعد موسى.

ويمكن تمثيل تتابع هذه الحجج على السلم الحجاجي التالي:

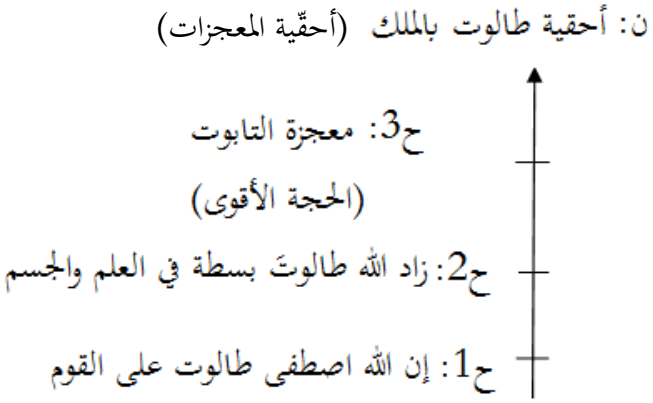

3- حوار إبراهيم عليه السلام مع الله:

قال تعالى: " **وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**"[2]

حين اختبر الله إبراهيم بما شرّع من تكاليف التي أداها وقام بها خير قيام فنجح في اختبارات الرسالة والنبوة وكان أكبرها عندما رأى في المنام أنه يذبح ابنه الوحيد إسماعيل، والذي رُزق به بعد أن تجاوز المائة فامتثل لأمر الله فكافأه الله تعالى وفدى ابنه بذبح عظيم، بعد منّ الله عليه بأن جعله إماما

(1)- ينظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج:2، ص:490.

(2)- سورة البقرة: الآية 124.

في الشرائع والعبادات، ومن حرص سيدنا إبراهيم أراد الاطمئنان على سائر ذرّيته، فاستخدم جملة خبرية لكنها تتضمن سؤالا مفاده: "وماذا عن ذريتي؟" فجاء رد الله قاطعا واضحا " **لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**" نافيا إمامة الظالمين مستخدما الرابط الحجاجي "لا" والذي يفيد الجزم المطلق، ملمّحا ومثبتا إمامة الصالحين مستخدما الاستراتيجية التلميحية مع توظيف الحجة للمنفعة (الحجة النفعية) "استجابة مطوية بإيجاز وبيان للفريق الذي تتحقق فيه دعوة إبراهيم، والذي لا تتحقق فيه بالاقتصار على أحدهما، لأن حكم أحد الضدّين يثبت نقيضه للآخر على طريقة الإيجاز"[1]

قال تعالى: " **إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**"[2]

وهو حوار بديع بين لله عز وجل وبين النبي إبراهيم عليه السلام "ولفرط محبة إبراهيم للوصول إلى مرتبة المعاينة في دليل البحث رام الانتقال من العلم النظري البرهاني، إلى العلم الضروري، فسأل الله أن يريه إحياء الموتى بالمحسوس فقال: " **رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ** " كحجة فعلية واقعية [3]، وقوله تعالى: " **أَوَلَمْ تُؤْمِنْ**" الواو فيه واو الحال، والهمزة استفهام تقريري على هذه الحالة، وعامل الحال فعل مقدّر دلّ عليه قوله "**أَرِنِي**" والتقدير: "أَأُريك في حال أنك لم تؤمن؟"، وهو تقرير مجازي مراد به لفت عقله إلى دفع هواجس الشك، فقوله: " **بَلَىٰ وَلَٰكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي**" كلام صدر عن اختباره يقينه وإلفاءه سالما من الشك، وقوله: " **لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي**" معناه ليثبت ويتحقق علمي فينتقل من معالجة الفكر والنظر إلى يقين المشاهدة الذي لا يحتاج إلى معاودة الاستدلال ودفع الشبه عن العقل.

إذ أثبت لله له إتمام الكلمات والنجاح في الابتلاءات والإمامة في الصالحين من ذريته ، كيف يتخيل عقلا أن منْ منَّ لله عليه بكل هذا يمكن أن يشك ولو لبرهة في قدرة لله على إحياء الموتى ، جاء سؤال لله تعالى إياه على سبيل التعجب والله أعلم بالإجابة فلماذا سأله يجيب الزمخشري بقوله :

([1])- ينظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير،ج:3 ص:706.

([2])- البقرة: الآية: 260.

([3])- ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج:3، ص:706

"فإن قلت كيف قال:(أولم تؤمن) وقد علم أنه أثبت الناس إيمانا قلت : "ليجيب بما أجاب به لما فيه من الفائدة الجليلة للسامعين" [1]، فيتحول الإيمان النظري لدى السامعين إلى تجربة عملية تثبت دعائم اليقين والطمأنينة في القلوب، بحوار إبراهيم عليه السلام مع رب العزة وما أجراه من تجربة حية.

4- حوارات إبراهيم عليه السلام مع النمرود:

لما كان عرض الحجج وقوة الاستدلال العقلي مرتبطين بالمقام والمقال وبنوع المخاطَب، كان التغيير واضحا في أسلوب النبي إبراهيم في حجاجه مع الملك نمرود دون قومه ضمن طريقة حجاجية يمكن أن نسمها بطريقة المقابلة أو المناظرة، قال تعالى: **"أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ"**[2]

إن إبراهيم عليه السلام في حواره مع النمرود الذي جاء على شكل مناظرة مستوفية الشروط إذ إنّه عليه السلام لم يلجأ إلى الاستفهام والإنكار والنصيحة والوعيد كما فعل مع أبيه وقومه؛ لأنَّ الملك النمرود لم يكن معترفا بوجود الله أصلا فقد كان كافرا بأنْ جعل من نفسه إلها يعبده قومه فهو كان ضالا ومُضِلًا؛ فحينما حاجّه النبي إبراهيم عليه السلام لم يحاججه في العقيدة واثبات التوحيد لأجل أن يَسلم ويؤمن، ولكنه حاجّه في القدرات الإلهية لأجل أن يُهزم ويُخزى أمام قومه، فاحتج بحجة واضحة يدركها كلّ عاقل فأول حجة ألقاها عليه هي الإحياء والإماتة فقال " **رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ"**، وهي الحجّة الأولى التي اعتمدها سيدنا إبراهيم لإثبات صدق دعواه وإبطال دعوى خصمه الملك الكافر ويقصد به إحداث ما لم يوجد، إذ لا أحد من المخلوقات يمكنه مشاركة الله تعالى في صفة الإحياء والإماتة، ثم ينتقل الدور في المناظرة إلى الطرف المقابل (النمرود) فردَّ عليه النمرود بأنه هو أيضا يحيي ويميت فقال: " **قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ"** وهو قدرته بحكم موقعه السياسي – الملك – على العفو عن المحكوم عليه بالموت ، وقتل البرئ مع التمويه بأن هذا هو المطلوب، و موهوما

(1)- جار الله الزمخشري. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تقديم وتعليق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط:3، 2009م، ج:1، ص:148-149.

(2)- سورة البقرة: الآية 258.

بالصحة والمنطقية لكنه في واقع الأمر قائم على المغالطة مردّها إلى تجاهله المطلوب الحقيقي من قول إبراهيم أن الله يحيي ويميت، اللافت أن إبراهيم عليه السلام لم ينزل من مستوى الحجاج إلى مستوى الجدل ، كان بإمكانه أن يوضح له الفارق بين القدرة على الإماتة والإحياء فيكون وبين من يستخدم الأسباب التي خلقها الله تعالى من أجل الموت والحياة ، ويمكن تمثيل الحجج التي ساقها النمرود في مناظرته لنبي الله إبراهيم عليه السلام في هذه المرحلة وفق السلّم الحجاجي التالي:[1]

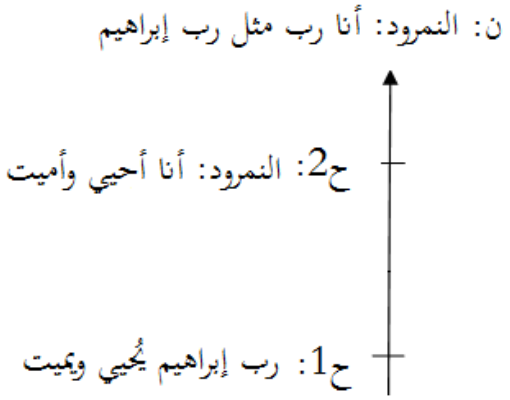

ترك إبراهيم عليه السلام حجّة الإحياء والإماتة جانبا، وانتقل إلى مرحلة الحسم في هذه المناظرة حينما ردّ على مغالطة النمرود فاستعان بحجة أقوى في الاستدلال على عدم ربوبية النمرود في حجة حسية من جهة وظاهرة يومية متكررة أقرب إلى نفوس العامة والخاصة من جهة أخرى، فضلا عن أنَّهم كانوا يعبدون الشمس ويقدسون حركة الكواكب السماوية ويعزون كل المحدثات إليها فقال: " **فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ**"، أي هو محدثها وهنا، ويلحظ هنا القيمة الحجاجية للروابط النصية، فإن "الفاء" العاطفة بين الجمل تفيد التعقيب وكذا تفيد السببية غالبا أي يكون ما قبلها سبب لما بعدها، فقد جعل سيدنا إبراهيم كلام النمرود مقدمة لحجة بالغة فلما قال النمرود" **أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ**"، ثم بنى عليه السلام حجته على هذا الكلام فقال: " **فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ**" وهي حجّة أفحمت الخصم فلم يستطع أن يكابر

(1)- ينظر: تومي عيسى، الآليات الحجاجية في الخطاب القرآني –دراسة في آيات من سورة البقرة، مجلّة الممارسة اللغوية، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، ع:04، 01 ديسمبر 2017 ، ص:35-36.

أو يعارض كما فعل في المرّة السابقة، ولما علم عجزه عن ذلك بهت ولم يتكلّم فقامت عليه الحجّة، لقوله تعالى: " **فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ**" وهكذا تحققت النتيجة التي سعى إبراهيم إلى إثباتها من البداية وهي إثبات الألوهية والربوبية لله وحده لا شريك له وإبطال ادعاءات خصمه ، فلمّا عجز بُهِت، ويلحظ هنا القيمة الحجاجية للروابط النصية، فإن "الفاء" العاطفة بين الجمل تفيد التعقيب وكذا تفيد السببية غالبا ، أي يكون ماقبلها سبب لما بعدها، فقد جعل سيدنا إبراهيم كلام النمرود مقدمة لحجة بالغة.[1]

استعمل سيدنا إبراهيم أِسلوب المقابلة بين ربّ إبراهيم عليه السلام والنمرود لإفساح المجال للعقل في أن يحكم بعد هذه المقارنة المعتمدة على المشاهدات والحسيات التي لا يمكن دفعها عن النفس.

ويمكن توضيح حجج نبي الله إبراهيم عليه السلام من خلال السُّلم الحجاجي التالي:

ن: الله سبحانه هو الإله الحق الذي يستحق العبادة.

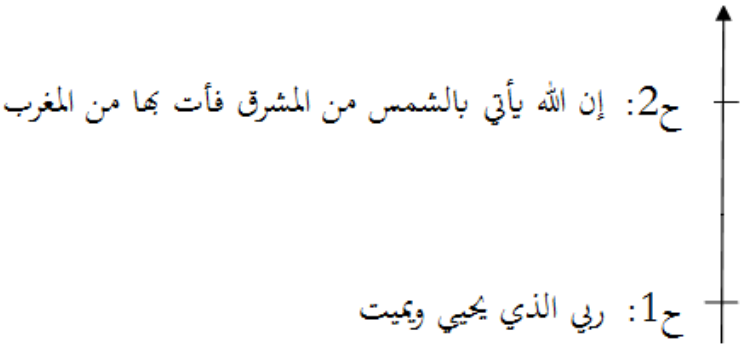

(1)- ينظر: جار الله الزمخشري. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج:1، ص:304.

5- حوار يعقوب عليه السلام مع بنيه:

قال تعالى: **"أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ"**[1]

في هذه الآية تفصيل لوصية يعقوب بأنه أمر أبناءه أن يكونوا على ملّة إبراهيم وإسماعيل وإسحاق وهي نظير ما وصّى به إبراهيم بنيه فأجمل هنا اعتمادا على ما صرّح به في قوله سابقا **"يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ"**[2] وهذا تنويه بالحنيفية التي هي أساس الإسلام -ونلاحظ توظيف للاستراتيجيتين التلميحية والتوجيهية- ، وتمهيدا لإبطال قولهم **"قَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا"** وإبطال لزعمهم أن يعقوب عليه السلام كان على اليهودية وأنه أوصى بها بنيه فلزمت ذرّيته فلا يحولون عنها.[3]

و "أم" عاطفة " **كُنتُمْ شُهَدَاءَ**" على **"أَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ"** فإن "أم" رابط حجاجي قوي يفيد العطف كيفما وقعت، وهي هنا منقطعة للانتقال من الخبر عن إبراهيم ويعقوب إلى مجادلة من اعتقدوا خلاف ذلك الخبر. والاستفهام هنا الذي يلازم "أم" غير حقيقي لظهور أن عدم شهودهم احتضار يعقوب محقّق، فتعين أن الاستفهام مجاز: ومحمله على أسلوب الانكار لأنه أشهر محامل الاستفهام فقد ادعوا أن يعقوب مات على اليهودية وأوصى بها فلزمت ذرّيته فكان موقع الإنكار واضحا وهو أنهم ادّعوا ما لا قبل لهم بعلمه إذ لم يشهدوا كما سيأتي، فالمعنى ما كنتم شهداء احتضار يعقوب. ثم أكمل الله القصّة تعليما وتفصيلا واستقصاء للحجة بأن ذكر ما قاله يعقوب حين احتضاره **"مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي"** والذي جاء بأسلوب استفهامي لينظر مقدار ثباتهم على الدين، فأجابوه بقولهم: " **قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا"** فإجابتهم جاءت على شكل محاورات بدون واو وليست استئنافا لأن الاستئناف إنما يكون بعد تمام الكلام ولا

([1])- سورة البقرة: الآية 133.

([2])- سورة البقرة: الآية 132.

([3])- ينظر: الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرر و التنوير، ج:1، ص:730-732.

تمام له قبل حصول الجواب، وقولهم "**وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**" جملة في موضع الحال من ضمير نعبد، أو معطوفة على جملة نعبد، جيء بها اسمية لإفادة ثبات الوصف لهم ودوامه بعد أن أُفيد بالجملة الفعلية المعطوف عليها مع التجدّد والاستمرار المطلق.[1]

وهذه الوصاية من طرف سيدنا يعقوب عليه السلام حاضرة في الخطاب القرآني من سورة البقرة، حيث إنه نادى بجمع أبناءه وتسليمهم مشعل عبودية الله سبحانه وتعالى، كما ورد في آي القرآن، ومن هنا نلمس بصمة الشعائر الدينية التي ألقاها سيدنا يعقوب لأبنائه بالرّجوع إلى الله كي لا يضلوا عن طريق الحق.

تبقى قصّة ووصايا سيدنا يعقوب سارية من أجل أن نتعلّم تعاليم الإسلام والأخذ بالحق والحيطة والحذر من المكر والخداع والرّجوع إلى الله في كلّ الأمور.

6- حوار محمد صلى الله عليه وسلم مع أهل الكتاب:

قال تعالى: " **قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ**"[2]

يعني تعالى ذكره بقوله: " قُلْ أتُحاجُّونَنا في الله "، قل يا محمد لمعاشر اليهود والنصارى، الذين قالوا لك ولأصحابك: كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا، وزعموا أن دينهم خيرٌ من دينكم، وكتابهم خير من كتابكم، لأنه كان قبلَ كتابكم، وزعموا أنهم من أجل ذلك أولى بالله منكم: " أتحاجوننا في الله وهو رَبنا وربكم "، بيده الخيرات، وإليه الثواب والعقابُ، والجزاءُ على الأعمال -الحسنات منها والسيئات-، فتزعمون أنكم بالله أوْلى منا، من أجل أن نبيكم قبل نبينا، وكتابكم قبل كتابنا، وربّكم وربّنا واحدٌ، وأنّ لكلّ فريق منا ما عمل واكتسب من صالح الأعمال وسيئها، يجازى عليها فيثابُ أو يعاقبُ.[3]

([1])- ينظر: الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرر و التنوير، ج:1، ص:732-734.

([2])- سورة البقرة: الآية 139.

([3])- ينظر: محمد بن جرير الطبري. تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آيِ القرآن، تح: بشار عوّاد معروف وعصام فارس الحرستاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط:1، 1415هـ-1994م، ج:1، ص405.

نجد أن الأسلوب القرآني في محاججة أهل الكتاب في هذا المقام يرتفع إلى أعلى مراتب الأدب في الحوار، إنّه الأسلوب الدّعوي الحكيم الذي علّمه الله –سبحانه– رسولَه الكريم والذي يقتضي تواضع الدّاعي، ومسايرة المتلقي بخطابه؛ الخطاب الذي لا يمس مشاعره ولا يحطّ من مكانته، بل يرفع من شأنه؛ ونلمس في هذا توظيفا وتضحا للاستراتيجية التضامنية فيضطر المخاطب أوجه الشبه والاتفاق مع محاوره ليكسب عاطفته ويستميله نحو فكرته المطروحة، فيسارع المتلقي إلى الاستجابة لمخاطِبه فيُقبل عليه ويقبلُ فكرته.

إنّه تجسيدٌ لمبدإ التأدّب التداولي الذي يقضي "بأن يلتزم المتكلم والمخاطَب في تعاونهما على تحقيق الغاية التي من أجلها دخلا في الكلام، من ضوابط التهذيب ما لا يقلّ عمّا يلتزمان به من ضوابط التبليغ، كما نلمس في الآية الكريمة السابقة– كذلك– تجسيدا لقاعدة أخرى من قواعد مبدإ التأدّب؛ هي قاعدة التشكيك التي تقضي بأن يتجنّب المتكلّم في خطابه أساليب قواعد مبدإ التأدّب؛ هي قاعدة التشكيك التي تقضي بأن يتجنّب المتكلّم في خطابه أساليب التي تقضي بأن يتجنّب المتكلّم في خطابه أساليب التقرير ويأخذ بأساليب الاستفهام كما لو كان متشكّكا في مقاصده بحيث يترك للمخاطب مبادرة اتّخاذ قراراته بنفسه. [1] وذلك أن الحجاج مبني على أسلوب إقناعي مبدأه التأدّب ومراعات سياق المقام الذي اقتضاه حال القرآن الكريم.

7– حوار عزير عليه السلام مع الله:

قال تعالى: "أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"[2]

تبتدئ الآية الكريمة بالرابط الحجاجي "أَوْ" التي مرتبتها قائمة على الإقناع المطلق الذي يأتي معطوفا على " **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ**" بمعنى: هل رأيت يا محمد كالذي حاج إبراهيم في ربه،

(1)– تومي عيسى. الاستلزام الحواري في الخطاب القرآني –مقاربة تداولية في آيات من سورة البقرة، ص:53.

(2)– سورة البقرة: الآية 259.

ثم عطف عليه بقوله: " **أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ**"، والمقصود بهذه الآية تعريف المنكرين قدرة الله على إحيائه خلقه بعد مماتهم، وإعادتهم بعد فنائهم زيادة إلى حجة إبراهيم في الآيات السابقة "**رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ**"، وقوله تعالى " **وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا**"، أي مدمرة تدميراً شاملا خالية من سكانها فقال نبي الله (عزير): " **أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا**" مبتعدا عن الشك في قرة الله عز وجل وإنما تعجبا واستغرابا منه أن هذا الأمر سيكون أو لن يكون –إحياء القرية وبعث الحياة فيها– ، فأراه الله كيفية إحيائه ذلك بما ضربه له في نفسه لقوله تعالى: " **فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ**" . وفيما كان من شرابه وطعامه، ثم عرفه قدرته على ذلك وعلى غيره بإظهاره إحياء ما كان عجيبا عنده في قدرة الله إحياؤه لرأي عينه حتى أبصره ببصره، ثم أراه نظير ما استنكر من إحياء الله القرية التي مر بها بعد مماتها عيانا من نفسه وطعامه وحماره، فحمل تعالى ذكره ما أراه من إحيائه نفسه وحماره مثلا لما استنكر من إحيائه أهل القرية التي مر بها خاويه على عروشها، وحمل ما أراه من العبرة في طعامه وشرابه عبرة له وحجة عليه في كيفية إحيائه منازل القرية وجنانها، وذلك هو معنى قول مجاهد الذي ذكرناه قبل، وقال تعالى " **وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ**" ولنجعلك حجة على من جهل قدرتي ، وشك في عظمتي ، وأنا القادر على فعل ما أشاء من إماتة وإحياء، فكان ذلك حجة على من عرفه من ولده وقومه ممن علم موته، وإحياء الله إياه بعد مماته، وعلى من بعث إليه منهم.[1]

من خلال تفسير الآية السابقة نجد أن الله في حواره مع عزير قد ضرب به المثل في قدراته العظيمة وأكد له ذلك رغم علمه " **فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**"، بعدما جعله الله حجة على نفسه عندما أماته ثم أحياه بعدما أحيى الله القرية التي استغرب من أن يحييها الله، فكانت حجّة مثل واستشهاد على قدرة الله على كل شيء.

ومجمل القول المبني على بعد الحجاج الحواري المتمثّل في اتخاذ القصص القرآنية سبيلا إلى هدف الإقناع والتأثير في الغير، وفي مضامين الحوارات السابقة تظهر لنا الأدلة العقلية على إظهار الحق وبطلان ما يعتقده المشركون والكافرون، فمثل هذه الموضوعات مبنية على الحجج الحوارية القرآنية إلا أنها تتصل بالإقرار على وحدانية الله تعالى دون غيره.

(1)– ينظر: محمد بن جرير الطبري. تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آيِ القرآن ج:2، ص140-146.

خاتمـــــة

من خلال دراستنا للآليات الحجاجية في حوارات الأنبياء في سورة البقرة توصلنا إلى سمات وملامح الحجاج بتقنياته المختلفة، والتي حققت بدورها القصدية الإقناعية لتلك الحوارات، إذ يعد الإقناع الأساس في الخطاب الحجاجي.

ويمكن أن نعرض أهم ما توصلنا إليه من نتائج من خلال فصول هذا البحث وتمثلت في النقاط الآتية:

- لقد تشكّل حدّ الحجاج في البيئة الغربية والعربية بمنظور جديد يقتضيه عالم القراءة.
- لقد تنوّعت مراتب الحجاج في الدراسات النّقدية والبلاغية بوجه خاص في محاورة المتلقّي الحاذق.
- ارتبط الحجاج بمفهوم الخطابة والبلاغة في الدراسات القديمة واشترك في وظيفتهما الأساسية للغة والتي تتمثل في الإقناع.
- الغاية من الحجاج جعل العقول تذعن لما يُطرح عليها من آراء وقضايا عبر أساليب خطابية معيّنة.
- ظهور البلاغة الجديدة عند بيرلمان أحدث تغييرا كبيرا في مفهوم البلاغة؛ حيث انتقلت البلاغة من كونها وسيلة للإمتاع وأداة لاكتساب الفصاحة إلى نظام خطابي يهتم بالإقناع.
- الارتكاز على الوظيفة الحجاجية في الخطاب عند بيرلمان التي تهدف إلى الاقناع والاقتناع، أي وجود تفاعل بين الملقي والمتلقي.
- من سمات البلاغة الجديدة الحجاجية أن النتائج والمسلمات ليست موضوعية مطلقة وحتمية، إنما احتمالية ونسبية، إذ يمتلك المخاطَب القدرة على الاقتناع بما يتلقّاه بنفسه، وليس عن طريق إثارة عواطفه واستمالته على غير وجه حق.

- لا تعد اللغة وسيلة إخبارية تواصلية فقط، بل لها دور حواري حجاجي، وذلك لما ينتج من الأقوال اللغوية تتابعا وترابطا بجعلها حججا داعمة لبعضها البعض.

- إن الجواب والسؤال والاستفسار جزء من البلاغة الذي يطرحه المحاور بمثابة حجج، إذ يتعين على المخاطِب إيجاد الأجوبة المناسبة من أجل الإقناع وإثبات فكرته.

- أسهمت جهود الباحثين العرب واطّلاعهم على الدراسات الغربية في تأصيل موضوع الحجاج وانتشاره في العالم العربي.

- لقد أنار درب الباحثين البلاغيين كأمثال طه عبد الرحمن الذي ركز على دور الحجاج في الخطاب ذلك أن الحجاج متأصل في كل تفاعل خطابي، وأنه لا حجاج بدون خطاب ولا خطاب بدون حجاج.

- استظهر أبو بكر العزاوي درس الحجاج من جانبه اللغوي فرأى أن النتائج يمكن استنباطها من الأقوال اللغوية التي تظهر كتسلسلات استنتاجية داخل الخطاب.

- إن تداخل الحجاج بالمعارف الأخرى قد وسع مجالاته وجوانبه، فظهر الحجاج في علم المنطق (الحجاج المنطقي) وفيه تم ربط المنطق بالحجاج، حيث يستلزم على المحاجج استعمال المنطق العقلي للإقناع وفق نظام وظيفي يعمل على تحديد العمليات التواصلية بين الملقي والمتلقي وإدراك المواضيع والقواسم المشتركة بينهما.

- إن ارتباط الحجاج باللغة (الحجاج اللساني أو اللغوي) حيث تعدد الآليات اللغوية (الروابط والعوامل الحجاجية، والسلم الحجاجي) كوسيلة ضرورية في إدراك العملية الحجاجية واستنباط نتائجه.

- بيان أُهبة الحجاج البلاغي في توظيف خطابات قائمة على استحضار الاستدلال المنطقي والبيان الحواري فيه وذلك بمراعاة كل الأساليب الفنّية والجمالية لحدّ النصوص باختلاف أجناسها وأنواعها.

- يقوم الحجاج الحواري على الاختلاف البيْني كونه يجمع بين فكرتين متضادتين، والمميز فيه أنه بعيد عن المنازعة والخصومة، إذ يعد وسيلة لعرض الآراء والأفكار بأسلوب عقلاني.

- بيان تلاقح استراتيجيات الخطاب الحواري في مدوّنات الكتب التي أنارت درب السامعين.

- ظهور استشرافات الاستراتيجيات التخاطبية في منظور الدراسات القرآنية والتي كانت محلّ ربط في القصص القرآنية

- الخطاب القرآني خطاب حجاجي حواري، يعتمد على الأساليب الحجاجية للوصول إلى غايتي التأثير والإقناع

- استظهار القصص القرآنية بمنظور عقلي مفاده الحكمة والموعظة الحسنة.

- إن حوارات الأنبياء مع أقوامهم في سورة البقرة بيّنت لنا ضرورة اعتماد العقل والحكمة والموعظة الحسنة في الخطاب من أجل الإبلاغ والتوجيه، بعيدا عن الخصومة والعنف، مُدعَّمين في ذلك بالدليل والبرهان.

- الحوار القرآني يسهم في نضوج العقل، وينير الطريق الحق، من خلال ترتيب النتائج وتقديمها للخصم، تجعل المطّلع عليها يرى دقتها وقوة برهانها.

- الآليات الحجاجية في الحوارات تتسم بالتعدد والتنوع، لكل آلية وظيفة حجاجية خاصة تندرج ضمن السياق الواحد (في الحوار الواحد حجج متنوعة غايتها واحدة ألا وهي إقناع المتلقّي).

- تحتوي الحوارات القرآنية على عبارات ضمنية يصعب الوصول إلى معانيها إلا بعد تقصي العديد من التفاسير والقراءات، إذ تحمل دلالات عديدة واسعة وعميقة.

- وفي الأخير يمكن القول إن الحجاج يضمّ في أبعاده الحوار كمرجع قائم على الاستدلال العقلي الذي يثيره المبدع ويطلق عنانه تجاه المتلقّي، إذ لا يمكن الخروج عن حوارات الحجاج التي لها صلة موثوقة بالدراسات القرآنية خاصّة الموجودة في آي القرآن الكريم في شتى الصّور، لهذا يبقى الحجاج كركن أساسي يدخل النّقاد من بابه للوصول إلى ما يسمّى بسيرورة الإقناع المطلق، وكل هذا يشكّل فكرة جوهرية تسموا إلى أعلى المراتب البلاغية من التنظير إلى التطبيق.

التوصيات:

- مراتب البعد الحواري الحجاجي في القصص القرآنية نماذج مختارة.
- حجّية الإقناع والتأثير في قصص الأنبياء (عليهم السلام) دراسة وصفية.
- آفاق الحجاج في الخطابات القرآنية –سورة البقرة أنموذجا.

قائمة المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم برواية حفص.**

- **المعاجم والقواميس:**

1- ابن فارس، معجم المقاييس في اللغة، تح: شهاب الدين أبو عمروا، دار الفكر، بيروت، ط:1، 1415هـ - 1995م.

2- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور. لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، الجزئين 2 و 4.

3- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي. قاموس المحيط، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ج:2.

4- مختار عبد الحميد. معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتاب، بيروت، د.ط، 1429هـ-2008م، ج:1.

- **المصادر والمراجع باللغة العربية:**

1- أبو العلي محمد بن عبد الرحمان، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترميذي المباركفوري، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ط2، 1406م - 1986م، ج:2.

2- أبو بكر العزاوي. الخطاب والحجاج، الأحمدية للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط:1، 1427هـ-2007م.

3- أبو بكر العزّاوي. اللّغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 2006م.

4- إسماعيل بن حماد الجوهري. الصحاح. دار العلوم للملايين، بيروت، لبنان، ط:3، 1403هـ، ج:2.

5- الامام القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1967م.

تمام حسن. البيان في روائع القرآن، دراسة لغوية وأسلوبية في النص القرآني، عالم الكتب، القاهرة، ط:1، 1993م.

6- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. البيان والتبيين، مكتبة الخانجي، القاهرة-مصر، الطبعة السابعة، 1998م، ج1.

7- جار الله الزمخشري. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تقديم وتعليق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط:3، 2009م، ج:1.

8- جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، دار الندوة الجديدة، بيروت، لبنان، د.ط،، د.ت، ج:1.

9- جميل حمداوي. أنواع الحجاج ومقوماته-من حجاج أرسطو إلى حجاج البلاغة الجديدة، مطبعة Rive، المغرب، الطبعة الأولى، 2020م.

10- الحسين بنو هاشم. نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان، دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، 2014م.

11- سامية الدّريدي. الحجاج في الشعر العربيّ بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، الأردن، الطبعة الثانية،2011م.

12- سعاد أنقار. البلاغة والاستعارة من خلال كتاب "فلسفة البلاغة" لريتشاردز، الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2010م، ج2.

13- الشريف الجرجاني. التعريفات، تحقيق: نصر الدين تونسي، شركة ابن باديس للكتاب، الجزائر، ط:1، 2009م.

14- الشريف الجرجاني، عليّ بن محمد بن عليّ. التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 2003م.

15- صالح بن عبد العزيز بن محمد آل شيخ وآخرون. التفسير الميسّر، مجمّع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنوّرة، 1430هـ-2009م، ط:2، ج:1.

16- طه عبد الرحمان. في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2000م.

17- طه عبد الرحمن. اللّسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثّقافي العربي، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، 1998م.

18- عبد السلام عشير. عندما نتواصل نغيّر - مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، د.ط، 2006م.

19- عبد القاهر الجرجاني، أبو بكر بن عبد الرحمن بن محمد. أسرار البلاغة، تع: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدّة-السعودية، 1431هـ-2010م.

20- عبد الله البهلول. الحجاج الجدلي-خصائصه الفنيّة وتشكّلاته الأجناسية في نماذج من التراث اليوناني والعربي، مطبعة دار نهى للطباعة، تونس، الطبعة الأولى، 2013م.

21- عبد الله صولة. الحجاج في القرآن من خلال أهمّ خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت-لبنان، الطبعة الثّانية، 2007م.

22- عبد الله صولة. في نظرية الحجاج-دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، الطبعة الأولى، 2011م.

23- عبدالهادي بن ظافر الشهري. استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت - لبنان، ط:1، 2004م.

24- عجك بسام. الحوار الإسلامي المسيحي، دار قتيبة، دمشق، د.ط، 1418هـ.

25- عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ابن كثير القريشي الدمشقي. تفسير القرآن العظيم ، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط:2، 1987م، ج:1.

26- مثنى كاظم صادق. أسلوبية الحجاج التّداولي والبلاغيّ-تنظير وتطبيق على السور المكّية، منشورات ضفاف، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، 2015م.

27- محمد الطاهر ابن عاشور. تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، 1984م، د.ط، الأجزاء: 1 و2 و3.

28- محمد العمري. البلاغة الجديدة بين التخييل والتّداول، أفريقيا الشّرق، المغرب، الطبعة الثّانية، 2012م.

29- محمد العمري. في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، الخطاب في القرن الأول نموذجا، إفريقيا الشرق، المغرب، بيروت، لبنان، ط:2، 2002م.

30- محمد بن جرير الطبري. تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آيِ القرآن، تح: بشار عوّاد معروف وعصام فارس الحرستاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط:1، 1415هـ-1994م، ج:1.

31- محمد حسين سلامة، الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، دار الأفاق العربية، دط، دت.

32- محمد حسين فضل الله. الحوار في القرآن قواعده أساليبه معطياته، دار الملاك للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط:1، 1417هـ-1996م.

33- محمد سالم محمد الأمين الطلبة. الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديد، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، 2008م.

34- محمد طروس. النظريات الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية اللسانية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط:1، 1426هـ-2005م.

35- مسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب صلاة المسافرين، رقم: (804، 805) بيت الأفكار الدولية، الرياض، د.ط، 1419م- 1998م.

36- الهيثم الأيوبي وآخرون. الموسوعة العسكرية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، د.ط، 1981م، ج:1.

37- يحي بن محمد حسن بن أحمد زمزمي. الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسّنة، دار التربية والتراث، مكة المكرمة، ط:1، 1414هـ-1994م.

- **الكتب المترجمة:**

1- أرسطوطاليس. الخطابة، الترجمة العربية القديمة، تر: عبد الرحمن بدوي، دار القلم، بيروت-لبنان، د.ط، 1979م.

2- فولفجالج هانيه و ديتر فنهفيجر. مدخل إلى علم اللغة النص، تر: فالح بن شبيب العجمي، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، 1999م.

3- فيليب بروتون و جيل جوتييه. تاريخ نظريات الحجاج، تر: محمد صالح ناحي الغامدي، مركز النشر العالمي جامعة الملك عبد العزيز، السعودية، الطبعة الأولى، 2011م.

- **الرسائل الجامعية:**

1- امحمد عرابي. البنية الحجاجية في قصة سيدنا موسى "عليه السلام"، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة السانية، وهران، الجزائر، 2008-2009م.

2- معن محمود عثمان ضمرة. الحوار في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين،2005م.

- **المجلات والدوريات:**

1- حمزة حسن سليمان صالح. حجية الحوار الإقناعي في القرآن الكريم حوارات سيدنا إبراهيم خليل الرحمان عليه السلام أنموذجا، مجلة التواصلية، مخبر اللغة وفن التواصل بجامعة يحي فارس، المدية، الجزائر، ع:14، 2019م.

2- بوشعيب بن مسعود راغين. خصائص البنية الحوارية في محاورة موسى لفرعون وأسسها الحجاجية، مجلة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ع:116، نوفمبر 2018.

3- بكوش جميلة. حجاجية اللغة في الحوار القرآني، مجلة فصل الخطاب، جامعة ابن خلدون-تيارت، الجزائر، ع:2، 30 أفريل 2013م.

4- عبد القادر بلعجال ولعجال فضلي. من الحجاج الإغريقي إلى البلاغة الجديدة لبيرلمان، مجلّة بدايات، الأغواط-الجزائر، المجلّد الأول، ع:4، 2020م.

5- عبد الرحمان محمد طعمة. البعد التداولي للنسق الحواري في القرآن الكريم: مقاربة معرفية حجاجية، قرأنيكا: مجلة عالمية لبحوث القرآن الكريم، ع:1، يونيو-حزيران 2018م.

6- آمنة بلعلى. الإقناع المنهجي الأمثل للتواصل والحوار (نماذج من القرآن و الحديث)، مجلة التراث العربي، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، ع:89، آذار-مارس 2003م.

7- تومي عيسى. الاستلزام الحواري في الخطاب القرآني –مقاربة تداولية في آيات من سورة البقرة، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، المركز الجامعي لتمنراست، الجزائر، 2019م، ع:1.

8- تومي عيسى، الآليات الحجاجية في الخطاب القرآني –دراسة في آيات من سورة البقرة، مجلّة الممارسة اللغوية، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، ع:04، 01 ديسمبر2017 .

9- جايلي عمر. نظرية الحجاج اللّغوي عند أوزفالد ديكرو وأنسكومبر، مجلّة العمدة في اللّسانيات وتحليل الخطاب، ع:3 ، 2018م.

10- عبد الحليم بن عيسى. البيان الحجاجي في إعجاز القرآن الكريم "سورة الأنبياء نموذجا"، مجلة التراث العربي، إتحاد الكتاب العرب دمشق، ع:102، نيسان 2006م، ربيع الثاني 1427هـ.

11- هيثم سرحان. الحجاج عند الجاحظ: بحث في المرجعيات والنصّيات والآليات، المجلّة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، ع:115، 2011م.

12- عبد الرب نواب الدين آل نواب. وسطية الإسلام ودعوته إلى الحوار، ورقة بحثية مقدمة للمؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من اللإرهاب، عُقد في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المدينة المنورة، من 1 إلى 3 ربيع الأول 1425هـ.

- **المراجع الأجنبية:**

1 -Color Oxford English Dictionary, Oxford University Prees, Third edition 2006.

2 -Le Petit Larousse Illustrè, Paris, 2004.

فهرس الآيات القرآنية

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
"مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ"	العنكبوت	41	30
"قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ"	البقرة	111	33
"إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ"	الانشقاق	14	34
"قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ"	الكهف	37	36
"وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا"	الكهف	34	45
"قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلً "	الكهف	37	45
"قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ "	المجادلة	01	45
"وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۗ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ"	البقرة	170	46
"وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ"	التحريم	11	46
"رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ..."	آل عمران	194	48
"فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ..."	آل عمران	195	48
"لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ"	آل عمران	198	48
"مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (113) وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ"	التوبة	114-113	50

"قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ۖ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ"	الأنعام	149	51
"قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ 65 قَالَ بَلْ أَلْقُوا ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ 66 فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَىٰ 67 قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ 68 وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ"	طه	69-65	52
" فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ"	طه	70	52
"اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ"	البقرة	225	57
"وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ (30) وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (31) قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (32) قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ"	البقرة	33-30	58
" وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (91) وَلَقَدْ جَاءَكُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ (92) وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا ۖ قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (93) "	البقرة	93-91	58

" وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ"	البقرة	54	60
"وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ۚ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ"	البقرة	61	61
"وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (67) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ (68) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ (69) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ (70) قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ"	البقرة	70-68	62
" أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا ۖ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (246) وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ۖ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (247) وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ	البقرة	248-246	64

			مُؤْمِنِينَ"
66	124	البقرة	" وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ"
67	260	البقرة	" إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ"
68	258	البقرة	"أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ"
71	133	البقرة	"أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ"
71	132	البقرة	"يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ"
72	139	البقرة	" قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ"
73	259	البقرة	"أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"

فهرس الموضوعات

المحتويات	الصفحة
البسملة	
شكر وتقدير	
إهداء	
مقدمة	**أ–هـ**
الفصل الأول: الحجاج –المفاهيم والآليات	7
المبحث الأول: الحجاج بين المفهوم والمصطلح	7
التعريف اللغوي	7
التعريف الاصطلاحي	8
عند الغربيين	9
عند العرب	13
المبحث الثاني: أنواع الحجاج وآلياته	17
أنواع الحجاج	17
تقنيات الحجاج	24
الفصل الثاني: حجاجية الحوار	33
المبحث الأول: تعريف الحوار	33

لغة	33
اصطلاحا	35
المبحث الثاني: استراتيجية الحوار الحجاجي	38
الاستراتيجية الحوارية	40
الاستراتيجية التضامنية	40
الاستراتيجية التوجيهية	41
الاستراتيجية التلميحية	41
الاستراتيجية الإقناعية	41
المبحث الثالث: حجاجية الحوار في الخطاب القرآني	45
مرتكزات الحجاج في الحوار القرآني	46
الأبعاد الحجاجية في الحوار القرآني	49
إعجازية الحجة في الحوار القرآني	51
الفصل الثالث: حجاجية حوار الأنبياء في سورة البقرة	55
المبحث الأول: أهم الحوارات التي جاءت في سورة البقرة	55
التعريف بسورة البقرة	55
أهم الحوارات المذكورة في سورة البقرة	58

المبحث الثاني: الآليات الحجاجية في حوارات الأنبياء في سورة البقرة	60
حوارات موسى عليه السلام مع قومه (بني إسرائيل)	60
حوار النبي مع بني إسرائيل	64
حوار إبراهيم عليه السلام مع الله	66
حوار إبراهيم عليه السلام مع النمرود	68
حوار يعقوب عليه السلام مع بنيه	71
حوار محمد صلى الله عليه وسلّم مع أهل الكتاب	72
حوار عزير عليه السلام مع الله	73
خاتمة	76
قائمة المصادر والمراجع	81
فهرس الآيات القرآنية	89

ملخص البحث:

إن الحديث عن الحجاج في حوارات الأنبياء حديث ذو شجون، إذ بلغ مرتبة كبيرة على مرّ الخطابات بشتى أجناسها لهذا فإن الخطاب الحجاجي في القرآن الكريم هو خطاب موجه في أساسه إلى إقامة الحجّة والإقناع في ذاتية المتلقّي، وغايته استمالة أبعاد الحوار في توجيه واقعهم الخطابي الذي من شأنه تحقيق غاية مفادها التأثير في المتلقّي، مع اتخاذ كل الأساليب والاستراتيجيات البلاغية الحوارية وتطبيقها على النصوص باختلاف أجناسها خاصة النص القرآني الذي يهدف إلى إقامة الحجج العقلية البلاغية الموجّعة إلى البشر وهي أبعاد إقناعية وإمكانات حجاجية إضافة إلى قيمتها الفنية والجمالية، وسبيل ذلك أن رجنا إلى مكوّنات الحجاج في مبدأ حوارات الأنبياء الموجودة في سورة البقرة كأنموذج والتي حوت قصص الأنبياء عليهم السلام كمفتاح من أجل الموعظة والإرشاد والتمسّك بوحدانية الله تعالى.

الكلمات المفتاحية: الحجاج، الحوار، الإقناع، الاستدلال المنطقي.

ABSTRACT:

Speaking about the prophets argument in dialogue is very branched and forked, It has reached a great rank throughout discourses of all kinds.Therefore, the argumentative discourse in the Noble Qur'an is a discourse directed at its basis to establish argument and persuasion in the subjectivity of the recipient, Its goal is to attract the dimensions of dialogue in directing their rhetorical reality, which would achieve a goal of influencing the recipient,And its aim is to attract the dimensions of dialogue in directing their rhetorical reality, which would achieve a goal of influencing the recipient, And its aim is to attract the dimensions of dialogue in directing their rhetorical reality, which would achieve the goal of influencing the recipient, Taking all the rhetorical and dialogical methods and strategies and applying them to texts of all kinds,Especially the Qur'anic text, which aims to establish rational, rhetorical arguments that are painful to humans, which are persuasive dimensions and pilgrim capabilities in addition to their artistic and aesthetic value, and the way to this is that we returned to the components of the pilgrims in the principle of the dialogues of the prophets found in Surat Al-Baqarah as a model, which contained the stories of the prophets, peace be upon them, as a key for the sake of the sermon Guidance and adherence to the oneness of God.

Keywords: arguments, dialogue, persuasion, logical reasoning.